مجموعة قصصية للأطفال

مغامرات ياسين مع الفاتحين

بقلم / عزة مختار

الطبعة الأولى

٢٠١٧

اسم الكتاب: مغامرات ياسين مع الفاتحين.

اسم المؤلفة: عزة مختار .

المدير العام: نهى محمود .

مدير التوزيع: مصطفى عبد القادر .

تصميم وإخراج فني: همت العزب.

تصميم الغلاف: دعاء السيد .

التصحيح اللُّغوي: أولي النُهى للتصحيح اللُغوي (نهى محمود).

الطبعة الأولى: ٢٠١٧

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٧/٢٣٩٣٥

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦١٠-١٧-٠

محفوظة جميع الحقوق

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي

خلف كايرو مول.

موبايل / ٠١٠١٤٦٢٤٢٨٨

البريد الإلكتروني:

Nohamahmoud.171186@gmail.com

elshahdpublishing2016@gmail.com

إهداء

إلى مُلهمتي..

إلى من دفعتني إلى كتابة تلك السلسلة..

إلى تلك التي ستظل في عيني طفلتي

مهما مرَّت الأيام والأعوام..

إلى قلب على الأرض يسير..

نوران ابنتي

ياسين الفتى المشاكس

كان ياسين فتًى شديد الذكاء، نشيطًا، كثير الحركة، كثير الأسئلة، يحب الاطلاع والقراءة وكان يحب بالأكثر قراءة قصص البطولات العالمية وشخصيات الفاتحين العظماء، وهو شديد الولع بقراءة الروايات والأساطير الرومانية والإغريقية القديمة حتى أنه كان يحلم بأن يكون يومًا واحدًا من أبطال تلك القصص وأن يؤدي نفس الدور الذي يؤديه بطلها وأحيانًا كان يتقمص الشخصية فعلًا، فكان يري نفسه أحيانًا هو "يوليوس قيصر" الذي حرر روما وأحيانًا "الإسكندر المقدوني" صاحب الفتوحات العظيمة والتجوالات الكثيرة.

وذات مرة كان بطلًا من أبطال قصص حرب النجوم وجال بين الكواكب؛ ليُنقذ كوكب الأرض من أخطار سكان الكواكب الأخرى

التي تتربص بنا نحن سكان الأرض الطيبين...ولم يكن هذا فقط اهتمام ياسين بل كان عنده اهتمام آخر وهو "الحاسب الآلي" أو الكمبيوتر، فكان يقضي أمامه الوقت بالساعات دون أن يكل أو يمل غير مراعيًا في ذلك مواعيد مذاكرته أو راحته أو حتى الصلاة بالمسجد، فكان يُغلق حجرته عليه ويستغرق فيما هو فيه دون أن يشعر بوقت أو يشعر بمن حوله، ولذلك فكثيرًا ما كانت تحدث خلافات شديدة بين ياسين وبين والده الذي يعترض على كل هذه الاهتمامات والتي هي – من وجهة نظره– مجرد مضيعة للوقت.

أما من وجهة نظر ياسين فهي أشياء هامة جدًّا بل هي أهم ما يمكن أن يفعله، وغالبًا تنتهي الخلافات بأن يتمسك كلٌ منهما برأيه دون الوصول حتى ولو لحل وسط، فلا ياسين يحاول أن يتنازل ويفكر في رأي والده وينظم –على الأقل– وقته ويوزعه بين اهتماماته المختلفة، ولا الأب يقدر على إقناعه برأيه، ولا الابن على استعداد أن يُغير مسار حياته، والذي يحسب أنه الأمثل ولا بديل عنه، وأن والده لا يستطيع أن يفهمه، وهكذا كانت الأمور تسير على حالة من الشدة حينًا وحينًا آخر بين محاولات للصلح بين الطرفين من قِبَل الوالدة التي تحاول التهدئة، وتقريب

وجهات النظر، والتي كانت غالبًا ما تنتهي تلك المحاولات بالفشل الذريع..

فكرت الوالدة أنه وبمناسبة حلول الإجازة الصيفية أن ترسل ياسين إلى جده؛ ليقضي معه بعض الوقت من باب التغيير، ولمعرفتها بتأثير الجد المحنَّك على حفيده وأنه الوحيد الذي يستمع إليه ويُناقشه بموضوعية دون تعصب للرأي أو عصبية، واقتنع الوالد بالفكرة وفرح بها ياسين وقرر أن يُسافر فورًا إلى جده بمدينة الإسكندرية ليقضي معه فترة من إجازته بعد أن انتهى من امتحانات المرحلة الإعدادية، وهو الآن في انتظار النتيجة والتي يوبخه والده دائمًا بسببها، ويهدده إن هو حصل على مجموع من الدرجات لا يُشرِّف بسبب تضييعه لوقته فيما لا ينفع..

التقويم

- ما رأيك في اهتمامات ياسين؟
- هل ترى أن ما يقرأه ياسين كافٍ لبناء شخصية فتى مسلم؟
- هل تعتقد أن ياسين على حق في عدم التفكير في رأي والده؟
- كيف ننظم وقتنا بشكل يتناسب مع اهتماماتنا؟
- ماهي أولوياتك اللعب أم المذاكرة؟
- احكي لنا عن هواياتك وكيف توفق بين ممارستها وبين مذاكرتك وتحصيلك؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين
وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة
أعمال الكاتبة عزة مختار

إلى الإسكندرية....

جهَّز ياسين حقيبته وأخذه والده إلى محطة مصر بميدان رمسيس بالقاهرة؛ ليسافر بالقطار حاملًا بين يديه هاتفه المحمول، الذي من الصعب أن يفارقه في أي سفر؛ ليقضي الساعات متواصلًا مع أصدقائه على صفحات التواصل الاجتماعي، وبالفعل يودعه والده ويوصيه بالاستماع إلى جده وطاعته، وعدم تعريض جدته لما يوهنها خاصةً أنهما قد اقتربا من السبعين من العمر، وعد ياسين والده بأن يكون مُهذبًا معهما وأنه لن يستمع إلى شكوى قد تحرمه من السفر إليهما مرةً أخرى.

في الطريق الزراعي كان ياسين ينهمك تارةً في الهاتف بين يديه حتى يكاد أن يكون غائبًا عن كل ما هو حوله، وتارة أخرى يتابع الأشجار التي تتسابق واحدةٌ تلو الأخرى في الاتجاه الآخر للقطار، وكأن الأرض هي التي تتحرك وتسرع به إلى حيث يسافر، كان يلاحظ المساحات الشاسعة من الأرض الخضراء على جانبي القطار، ويفكر في هؤلاء البشر الذين يعيشون على الزراعة ويتوارثونها منذ آلاف السنين وكانوا هم أساس الحضارة المصرية العظيمة، والتي بقيت آثارها شاهدةً على عظمتها حتى هذا اليوم، بينما يعجز هو وأبناء جيله على تقديم أي جديدٍ لبلاده رغم رغبته الشديدة في ذلك، ورغم حبه لها وتفكيره العميق في كيفية النهوض به شأنه في ذلك شأن العظماء الذين غيروا مسار التاريخ، مرَّ الوقت سريعًا بينما ما زال ياسين ذاهلًا عما حوله، مشغولًا بالتواصل مع أقرب أصدقائه؛ ليحكي له عن جديه وعن الإجازة السعيدة التي تنتظره بالإسكندرية، لينتبه على صافرة القطار معلنةً الوصول إلى مدينة الثغر (الإسكندرية).

يستقبله جده بترحاب شديد وأحضان حارة ويمسك بيده بحب ودفء ويمران معًا عبر زحام المحطة، ويشقَّان طريقهما عبر جموع المسافرين في طريقهما إلى بيت الجد القريب من البحر الأبيض

المتوسط، كاد ياسين يطير فرحًا حين وصلا وسلَّم على جدته بشوق وود، وطلب منه جده أن يستريح قليلًا حتى موعد الغداء وليكن بعدها جلسة مطولة عن برنامج الإجازة الذي أعده له جده...

ثار خيال ياسين بذلك البرنامج وقال: لن أضيع لحظة واحدة، فأمامي الكثير كي أفعله هنا ـ دون رقيب أو تنبيهات أو تحذيرات- وسأفعل ما يحلو لي (هكذا كان يحدِّث ياسين نفسه).

ـ هيا يا ياسين، فقد حان موعد الغداء، كان هذا صوت جدته تناديه، أسرع ياسين ملبيًا وجلس معهما، وكانت جلسة طعام هادئةً وديةً تجاذب فيها ياسين مع جديه الحديث عن أخبار أبويه وأخوته وأخبار الامتحانات، وتطرَّق ياسين إلى الشكوى من أبويه وسوء معاملتهما له، وأنه مظلوم؛ فهما لا يفهمانه ولا يعطيانه الحرية ليفعل ما يريد أو يختار ما يحب، ولا يحاولان التقرب منه أو الاستماع حتى لوجهة نظره، بل ينكرون عليه حتى أن تكون له وجهة نظر، وهنا تدخَّل الجد وقال:

- أنا معك يا ياسين، ولكن وكما تحب منهم أن يستمعوا إلى وجهة نظرك فاستمع إليهما أنت أيضًا، وقبل ذلك يجب أن تضع في اعتبارك أنهما أقرب الناس إليك وأكثر الناس حرصًا على

مستقبلك، وربما يكون ذلك أكثر منك أنت شخصيًّا على نفسك، وأنك مهما كبرت فخوفهما عليك لن يقل وحبهما لك لن يفتر، فلتحترم ذلك فيهما، وإن كانت هناك بعض الخلافات فيمكن أن تحل بالاستماع وتقريب وجهات النظر بشرط أن يوافق الطرفان على ذلك، ومن وجهة نظري فإن المشكلة بسيطة ويمكن أن نحلها بسهولة ولنعرف أولًا ما هو الخلاف بينكم؟

تنهد ياسين بعمق وقال:

- أرأيت يا جدي! كيف تتحدث معي؟ إنك تسمع مني وتحدثني بهدوء وأسمع حديثك وألحظ فيه أنك تعرف أنني أفهم الكلام جيدًا، أما هما فيظنان أنني ما زلت صغيرًا ولا أفهم شيئًا، ويعاملانني على أنني غير مسئول عن نفسي، وكل كبيرة وصغيرة يجب أن أعود إليهما فيها حتى اختيار الكتاب الذي أقرأه يودان أن يختاراه لي، فما بقى لي كي أفعله لنفسي؟ وأين شخصيتي في كل ذلك؟ إن والدي له مكانته وله عقله وله ميوله وأنا لست نسخةً منه ولن أكون، فلماذا يريدني كذلك رغمًا عني؟

وطالت المناقشة التي حاول فيها الجد أن يقرب الفجوة بين حفيده وبين ابنه إلى أن حان موعد صلاة العصر، فقال له:

هيا يا ياسين، لنذهب للمسجد أولًا نصلي العصر ثم نجلس معًا لأعرض عليك ما أعددت لك، ونري ما تحب أن نضيفه أو نعدله.

وانطلقا إلى المسجد وياسين يسير بجوار جده بفخرٍ وحبٍّ لجده الطيب الذي يفهمه أكثر من أي أحد آخر...

في المساء كانت هناك جلسة مطولة بين الجد وبين ياسين والذي يري جده أنه قد تغير كثيرًا هذا العام عن العام الماضي، فقد أصبح أكثر مشاكسةً واعتراضًا على آراء الأخرين - ربما لمجرد الاعتراض - وله وجهة نظر في أشياء كثيرة، نعم، هي وجهة نظر غريبة بالنسبة للجد وبالتأكيد هي كذلك بالنسبة لوالد ياسين الذي يشتكي كثيرًا من تصرفات ابنه بأنها أصبحت غير معقولة وغير مقبولة، لكنها بالنسبة لياسين هي وجهة النظر المعتمدة والصحيحة الوحيدة بين كل الآراء، إلى أن سأله الجد:

- ماذا تحب أن تكون يا ياسين؟

- لست أدري يا جدي، فأبي يود لو أكون طبيبًا ويدفعني لذلك، أما أنا فلا أتخيل نفسي طبيب ولا مهندس، أنا أحلم بشيء آخر، شيء أظنني خُلقت من أجله ولكنني لست أدري ما هو ولا كيف أصل إليه، إنني أقرأ كثيرًا كتب البطولات وتعجبني

الشخصيات التاريخية التي غيرت مجري التاريخ وحولت مسار بلادها للأفضل، تصور يا جدي.. معنى أن يقوم شاب بتغيير مسار بلاده وينقذها من الاستعمار أو الظلم ويحرر أهلها وينصفهم ويرفع قدر الضعفاء؟! إن هذا شيء عظيم.. لقد قرأت في التاريخ القديم الإغريقي واليوناني والروماني أساطير في هذا الشأن، هل سمعت مثلًا عن مُحرر العبيد؟ وكيف أنه ضحى بنفسه ومات في سبيل أن يحيا غيره حياة الحرية؟ لقد تمنيت حين قرأت عنه أن أكون هو أو أكون على الأقل معه.

ابتسم الجد ابتسامةً واسعةً ذات معنى وحرَّك رأسه، وقال:

- ما لك يا ياسين، ألم تقرأ سوى تلك الأساطير القديمة؟ ألم تعلم أن هناك ما هو أعظم منها تفخر به وتتعلم منه يا ولدي؟ إن تلك الأساطير التي تتحدث عنها هي - وإن حدثت يومًا - قد دخل عليها الكثير من الخرافات والخيال حتى أنها لم تعد تنتسب إلى الواقع، أما ما أحدثك عنه الآن فهو شيء آخر، شيء يجعلك تقف أمام العالم كله بفخر وعزة أنك تنتمي إلى هؤلاء الأبطال، إنها قصص أجدادك الذين أسسوا حضارةً من أسمى حضارات العالم، وحرروا الإنسان بفتوحاتهم العظيمة من عبودية الإنسان إلى العبودية لله وحده، حتى الحضارة الأوروبية التي تفخر بها هم

من وضعوا أول أسسها في جامعات قرطبة بالأندلس المفقودة والتي يسمونها اليوم أسبانيا.

ظهرت علامات الدهشة على وجه ياسين من حديث جده، معقول هذا؟! هل هناك تاريخ أو بطولات تُضاهي بطولات الإسكندر مثلًا؟

اعتدل الجد في جلسته ونظر بعينيه بعيدًا في ذلك الفراغ حيث يمتد البحر أمامهما امتدادًا عظيمًا إلى أن تطابق السماء مع الماء، وحيث يلفهما الظلام الكثيف تقطعه أضواء بعض السفن البعيدة في عمق البحر، وقال:

- أتدري يا ياسين، أين ينتهي ذلك البحر؟

فكَّر ياسين قليلًا وقال:

- نعم يا جدي، إنه ينتهي عند سواحل أوروبا.

- أتدري أن أوروبا تلك كانت يومًا ضمن فتوحاتهم العظيمة حتى أن جيوشهم وقفت على حدود فرنسا، بل وتوغلت فيها وحكمت مئات السنين فيها بحكم الله، ونشرت العدل والسلام والحرية وكل القيم النبيلة التي تحلم أنت بها؟

ـ كيف ذلك يا جدي؟ وعمن تتحدث؟

ـ إنهم أجدادك يا ولدي، أجدادك الذين ملؤوا الدنيا بالعدل والرحمة، الذين عرفوا كيف يحكمون وفهموا جيدًا أن الحق إن كان معك فيجب أن تحميه القوة، وأن العدل إن كان يحكمك فيجب أن تزينه بالرحمة.

– كلامك رائع يا جدي، قل لي المزيد عنهم كيف يكون لي أجداد بما تحكيه ولا أعرف عنهم شيئًا؟ ثم إن أغلب ما أعرفه عن تاريخنا ـ أصدقك القول يا جدي ـ لا يعجبني، ومع أني لم أقرأ في هذا المجال غير أن ما تعلمته في المدرسة لا يشجعني على القراءة، ثم إن كل ما حولي يقول غير ذلك، فملابسي التي أرتديها مستوردة من الخارج وكل ما أستعمله كذلك، إن أبسط الأشياء لم تُصنع هنا فكيف يكون ما نحن عليه من ـ تخلف وجهل ـ أساس أي حضارة أخرى؟! ثم تحدثني عن العدل يا جدي؟! انظر إلى الشارع الذي أمامنا لتجد الفروق الكبيرة بين الناس، فأي عدل هنا؟ إنني لا أظن أنهم سمعوا عن العدالة يومًا.

– عندك حق يا ياسين فيما تقوله؛ لأنك تجهل تلك الحقائق، والخطأ ليس خطأك إنما خطأ من تعمدوا تشويه ذلك التاريخ حتى لا يصل إلى النشء أمثالك، سأحكي لك – يا ولدي

- لتعرف قدر نفسك، وتعرف من أنت، وإلى من تنتمي، وساعتها سأدعك تحكم بنفسك ويكون لك الاختيار لمن تحب أن تنتمي.

- عمن ستحكي لي يا جدي؟

- لا، الآن حان وقت النوم كي نستطيع القيام لصلاة الفجر وغدًا عندنا يوم حافل، فلتذهب الآن لتنام وتستعد ليوم غد- إن شاء الله- وسنحدد بداية الكلام في هذا الحديث غدًا -إن شاء الله- ولكن ذلك بعد أن نذهب إلى عدة أماكن.

- حسنًا يا جدي، ومع أنني اشتقت لسماع المزيد إلا أنني سأصبر للغد إن شاء الله.

التقويم

- من وجهة نظرك هل كان ياسين مُنصفًا في الحديث عن والديه؟
- أيهما تفضل أن تلتحق بما يسمونه كليات القمة إرضاءً للناس، أم أن تفعل ما تحبه وتبدع فيه مهما كانت نظرة الناس إليه؟
- مُستخدمًا الحاسب الآلي.. أذكر أمثلةً للبلاد التي فتحها المسلمون في أوروبا؟
- " إن الحق إن كان معك فيجب أن تحميه القوة، وإن العدل إن كان يحكمك فيجب أن تزينه بالرحمة ".. أكتب خمسة أسطر توضح فيها ما فهمته من هذه العبارة؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين
وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة
أعمال الكاتبة عزة مختار

وتحدثت جدران القلعة

بعد تناول الإفطار في الصباح اقترح الجد على ياسين أن يصحبه في جولة ببعض الأماكن في المدينة والتي كان ياسين قد زارها من قبل ولكن عندما كان صغيرًا، أما اليوم وقد كبر وأصبح رجلًا فقد تغيرت نظرته للأشياء وأصبح يراها من منظور جديد، فما كان يعجبه بالأمس ويبهره لم يعد يمثل له شيئًا اليوم، وما لم يكن يلفت انتباهه من قبل رآه بعين أخرى، وافق ياسين ولكن بشرط أن يوافق أولًا على مكان الزيارة، فقال له جده:

- إنها القلعة ثم المكتبة ثم لك الاختيار بعد ذلك.

في القلعة وقف ياسين إلى جانب جده وهو يتحسس بيده الجدران ويحاول أن يشمها، فتعجب مما يفعله جده وهو ينتقل من طابق إلى طابق ومن غرفة إلى أخرى، حتى تلك الأسقف المكونة من سيقان النخيل والأخشاب الثقيلة...

ـ ألا تشعر بالشموخ يا ياسين، في تلك الجدران؟! إنني أكاد أسمعها تبكي ذلك الزمن الجميل، زمن البطولات والعزة، انظر إليها وشم رائحتها، ألا تشم فيها رائحة التاريخ؟ ألا تشعر فيها بالعظمة؟ إن المكان الذي تقف فيه الآن قد كان به يومًا جنديٌّ من الجنود يدافعون عن مقدسات وتراب ذلك البلد..، إذا أردت أن تعرف التاريخ يا ياسين، فابحث عنه هنا بين طيات جدراننا وفي شوارعنا وحاراتنا، واقرأه في صفحات تاريخ بلادنا فهنا التاريخ، وهنا الحقائق التي تدهش العقول وتحيرها فإنها حقائق أغرب من الخيال.

في مكتبة الإسكندرية

جلس ياسين مع جده بالاستراحة كي يلتقط الجد أنفاسه قبل الدخول إلى قاعة الكتب، وكانت لهما جولة بين أرفف كتب التاريخ الإسلامي تاريخ الخلفاء الراشدين، تاريخ الفتوحات الإسلامية، تاريخ الفاتحين العظام، واختار ياسين بعض الكتب ليتصفحها، الكتاب الأول كان عن الخليفة الخامس " عمر بن عبد العزيز "، والكتاب الثاني كان عن أميرٍ قال عنه النبي ﷺ: «**نعم الأمير هو، ونعم الجيش جيشه**»، الأمير الفاتح " محمد الفاتح ".

لم يتعجب الجد من اختيار ياسين للكتب؛ فهو يعلم حبه وشغفه بالأبطال والمجددين خاصةً إن كانوا من الشباب، طلب

ياسين من جده أن يعطيه الفرصة كي يتصفح الكتب بينما الجد انشغل هو الآخر في تصفح كتبٍ أخرى، وبين الحين والحين يختلس النظرات إلى حفيده ـ نظرات رضا وسعادة باختياره ـ، فربما يكون ذلك الاختيار سببًا في تحديد هويته الجديدة " أو هويته الحقيقية ".

في المساء وبعد يوم حافل بالزيارات اجتمعت العائلة الصغيرة على العشاء بعد صلاة العشاء يتضاحكون، بينما ياسين يحكي لجدته مواقف جده معه وهو يركب الترام ببطء شديد، ويطلب من ياسين أن يأمر السائق بالانتظار حتى يستطيع جده الركوب على مهل، وحينما جلس الجد أمام جهاز الحاسب في المكتبة؛ ليستخرج بعض المعلومات ويقف أمام الجهاز ولا يعرف كيف يتعامل معه، وتضحك الجدة مجاملةً لياسين بينما يتحداها الجد أن تستطيع مجرد فتحه، وتكاد تنشب معركة بينهما لولا تدخل ياسين للإصلاح السريع.

التقويم

- هل قمت بزيارة أماكن تاريخية من قبل؟ بماذا شعرت أثناء الزيارة؟
- لو كنت مكان ياسين بالمكتبة ماذا كان يمكن لك أن تختار من الكتب؟ ولماذا؟
- ماذا تعرف عن مدينة الأسكندرية ومعالمها السياحية؟
- ماذا تعرف عن "محمد الفاتح"؟و"عمر بن عبد العزيز؟
- اختر شخصيتان تاريخيتان وأكتب عنهما بالاستعانة بشبكة الإنترنت...

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

ولكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

مثلك يا ياسين يحب العلم

في الشرفة ومع أكواب شاي المساء وعلى همسات ولمسات النسيم المختلط برائحة البحر المنعشة جلس ياسين مع جده متحفزًا لسماع القصص التي وعده بها في الليلة السابقة، وقال له:

– لقد فهمت يا جدي، لماذا أجَّلت الحكايات إلى الليلة؟ لقد أردتَ أن أزور القلعة أولًا وتلفت نظري إلى التاريخ الإسلامي، ثم اصطحبتني إلى المكتبة وأنت تعرف أي كتب سأختارها، أهذا صحيح؟

ابتسم الجد وأُعجِب بذكاء حفيده، وقال:

– حقًّا يا ياسين، إن ما تقوله صحيح.

– إذن فلنبدأ يا جدي، عمن ستحدثني؟

– سأحدثك عن الشخصيات التي اخترتها بنفسك في المكتبة.

– وهل كان ذلك ما كنت تنويه بالأمس يا جدي؟ نفس هذه الشخصيات؟

– نعم يا ياسين، لقد علمت اتجاهك وشغفك وعرفت أن حسك سيأخذك إلى ذلك.

– إذن يا جدي، بمن سنبدأ؟

– نبدأ بالترتيب التاريخي بأسطورة العدل "عمر بن عبد العزيز".

– ولكن ما أعلمه يا جدي، أنه قد سبقه في ذلك جده " عمر بن الخطاب "، فلماذا اخترت "عمر بن عبد العزيز"؟

– ذلك يا ولدي، إن "عمر بن عبد العزيز" كان شابًّا قويًّا غنيًّا تربي في أحضان الإمارة؛ فأبيه كان والي مصر وابن عم الخليفة، وزوجته كانت بنت الخليفة وأخت الخليفة؛ أي أن الدنيا كانت بين يديه بكل زينتها ومع هذا لم تغره ولم تنسه مهامه، بل تخلى عنها لصالح آخرته وصالح أمته التي هو مسئول عنها.

– فهمت يا جدي؛ أي أنه لم يكن فقيرًا معتادًا على الفقر.

– نعم يا ياسين، فكما قلت لك: كل متاع الدنيا كان بين يديه، ومع هذا تخلى عنه ولبس ثوب الفقر وعاش عيشة الفقراء

هو وأهل بيته جميعًا، ليس حبًّا للفقر يا ياسين، وإنما لأن الحاكم الذي يشبع لا يتذكر فقراء شعبه فيزداد الشعب جوعًا، الفقر ليس هدف المسلمين وليس ميزةً بالنسبة لهم، والدنيا ليست مذمومةً في نظرهم، وإنما هي سبيل للوصول لرضا ربهم وعبادته، ففي ديننا يا ياسين " المسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف ".

– احكِ لي يا جدي، كيف كانت طفولته؟ هل كان مشغولًا باللعب والرفاهية وحياة القصور التي يتوفر بها الخدم والعبيد والكل تحت رهن إشارة من إصبعه؟

– قبل أن أحكي لك عن طفولته أقول لك من هو.

– حسنًا يا جدي، من هو؟

– " في ذات ليلة رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رؤيا، فقام من نومه يردد: مَنْ هذا الأشجُّ من بني أمية، ومِنْ ولد عمر يُسَمى عمر، يسير بسيرة عمر ويملأ الأرض عدلاً"، في منطقة حلوان بمصر حيث يعيش والي مصر "عبد العزيز بن مروان" وزوجته "ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب" وُلِد "عمر بن عبد العزيز" سنة ٦١هـ، و"ليلى بنت عاصم" هي ابنة بائعة اللبن.

– ومن بائعة اللبن تلك يا جدي؟ لقد درست شيئًا عنها من قبل ولكني لا أذكر التفاصيل، هل جدة عمر بن عبد العزيز بائعة لبن؟

– نعم يا ولدي، فبينما أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " يسير في الطريق ليلًا كعادته يتفقد أحوال الرعية فاستند إلى جدار، فسمع حوارًا بين أم وابنتها تطلب منها أن تضيف الماء على اللبن ليزداد ويبيعونه بثمن أعلى، فقالت لها الابنة: ولكن يا أمي، إن أمير المؤمنين منع خلط الماء باللبن، فقالت الأم: وأين أمير المؤمنين الآن؟ إنه لا يرانا، فقالت الابنة: إن كان أمير المؤمنين عمر لا يرانا فرب عمر يرانا..، فأعجب أمير المؤمنين بتلك الفتاة ووضع علامة على البيت وفي الصباح جمع أولاده وطلب منهم أن يتزوجها أحدهم فإن لهذه الفتاة شأن، فتزوجها ابنه عاصم وأنجب منها طفلة اسماها " ليلى "، وكانت هذه هي أم " عمر بن عبد العزيز "، أرأيت يا ياسين كيف يحفظ الله ﷻ الذرية بعملها الصالح؟ وكيف يحفظ النشء بصلاح الأجداد؟

– صدقت والله يا جدي، فكيف نشأ "عمر بن عبد العزيز"؟

– كان عمر محبًّا للعلم منذ صغره، حفظ القرآن الكريم في سن صغيرة وشغله تحصيل العلوم الموجود في عصره، وطلب من والده أن يذهب إلى المدينة المنورة " مدينة رسول الله "؛ حيث أصول العلم، وحيث العلماء كي يتلقي العلم من منبعه وحيث موطنه من التابعين، وقد استجاب له والده وسلمه إلى

تابعي جليل وعالم فاضل من علماء المدينة وصالحيها هو "صالح بن كيسان" الذي رأى فيه علامات النبوغ والورع وحب العلم، حتى قال عنه: ما خَبَرْتُ أحدًا- الله أعظم في صدره- من هذا الغلام، وقد فاجأته أمه ذات يوم وهو يبكي في حجرته، فسألته: ماذا حدث لك يا عمر؟ فأجاب: لا شيء يا أماه، إنما ذكرتُ الموت، فبكت أمه.

- وما حكاية الأشج هذه يا جدي؟

- تلك يا ولدي قصة أخرى، فقد دخل "عمر بن العزيز" إلى اسطبل أبيه، فضربه فرس فشجَّه (أصابه في رأسه) فجعل أبوه يمسح الدم عنه، ويقول: إن كنتَ أشجَّ بني أمية، إنك إذن لسعيد. وهي تحقيق لرؤيا " عمر بن الخطاب " التي ذكرتها لك آنفًا.

- حدثني يا جدي عن نشأته، كيف كانت؟

- نشأ "عمر بن عبد العزيز" في قصر الوالي - قصر والده والي مصر - حيث المستوى الرفيع والنعيم وسعة الدنيا، وكان دخله السنوي من راتبه المخصص له ونتاج أرضه يتجاوز الأربعين ألف دينار، وكان حين ينتقل مسافرًا كان موكبه يناهز الخمسين جملًا تحمل متاعه فقط، وكان معروفًا عنه بذخه الشديد في ملابسه ومظهره وعطوره، وكان يعبر الطريق فيعلم مَنْ

يأتي بعده أن "عمر بن عبد العزيز" كان هنا، حتى في مشيته التي عُرفت " بالمشية العُمرية "؛ وذلك لاعتداده بنفسه في تلك الفترة من شبابه ونشأته، لدرجة أن مَنْ كان يراه من الشباب يحاولون محاكاته في تلك المشية المختالة، ومع هذه النشأة المرفهة إلا أنه كان فيه نبوغ مبكر، فلم ينسِه ما هو فيه من نعيم وزخرف دنيوي حب العلم والإقبال على التعلم واحترام معلميه.

حفظ القرآن وهو صغير كما أسلفنا، قال عن نفسه: "لقد رأيتني بالمدينة غلامًا مع الغلمان ثم تاقت نفسي للعلم فأصبت منه حاجتي".

- ما شاء الله! كل هذا النعيم؟

- وأكثر منه، ومع هذا لم يفرط في صلاة الجماعة في المسجد يومًا إلا في يومٍ واحد، وقد كان شيخه "صالح بن كيسان " يُلزِمه أن يؤدي كل الصلوات في المسجد على أوقاتها فتأخر يوم عن الصلاة فسأله: ما الذي أخرك؟

فقال: كانت مرجلتي تسكن شعري.

فقال الشيخ:بلغ من تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة، وأرسل بذلك إلى والده بمصر فبعث إليه "عبد العزيز بن مروان" رسولًا فلم يكلمه حتى حلق شعره.

- ابن الأمير يُفعل معه هذا؟!

- هذا هو الأدب مع العلماء، فليس هناك ابن أمير وابن فقير الكل أمام العَالِم متعلمٌ مؤدبٌ يحفظ حق معلمه وإلا يُحرم من العلم مهما كانت مكانته، وهكذا كان دأب الخلفاء والأمراء أن يسلموا أبناءهم للعلماء يؤدبوهم ويعلموهم، وقد طلب الخليفة "هارون الرشيد" أن يأتي أحد العلماء إلى قصره كي يربي له ولد، فقال له: " العلم يؤتى ولا يأتي "، ولذلك احتفظ العلماء بمكانة عالية بين المسلمين وظلت لهم هيبتهم إلى أن أتوا أبواب السلاطين والحكام.

- إذن يا جدي، فإن "عمر بن عبد العزيز" لم يكن فتًى عاديًا، فإنه لم يضيع وقته فيما يفعله الشباب في مثل سنه عادةً.

- حقًّا يا ياسين ما تقول.

- ولكن يا جدي، متى يعيش حياته؟ بمعنى متى يلعب ويلهو ويستمتع بنفوذ أبيه؟

- ذلك يمكن أن يشغل غيره يا ولدي، ولكن هو لا، ولذلك كان " عمر بن عبد العزيز"خامس الخلفاء الراشدين؛ فإن من يحيا حياة الصغار - يا ولدي - يستريح ربما لكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا، أما من يحيا حياة الكبار فربما يتعب لكنه يعيش كبيرًا ويموت كبيرًا.

التقويم

- حفظ القرآن صغيرًا، الإقبال على العلم ومصاحبة العلماء، الصلاة في المسجد... هل ترى من وجهة نظرك أن هذه الأشياء كافية اليوم لبناء إنسان؟
- ما رأيك في شخصية عمر بن عبد العزيز؟
- ماذا تعرف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟
- هل أعجبتك شخصية عمر بن عبد العزيز؟ ولماذا؟
- ماذا تحب من العلوم التي تدرسها؟ ولماذا؟
- هل تحب أن تكون كعمر؟ أم تحب أن تولد صغيرًا وتعيش صغيرًا؟
- من هو مثلك الأعلى؟ ولماذا؟
- ماذا تحب أن تصبح عندما تكبر؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين
وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة
أعمال الكاتبة عزة مختار

عمر واليًا على المدينة

في اليوم التالي وبعد برنامج جديد كان قد أعده الجد مسبقًا لياسين كي يشغل به وقته، اجتمعا في الشرفة القريبة من البحر؛ ليُكملا حديثهما الشيِّق عن الخليفة الخامس والفتى النابغ عمر بن عبد العزيز.. قال ياسين:

– إن ما أعرفه عن أبناء الأمراء والمسئولين يا جدي، أنهم لا يشغلهم كثيرًا حال الناس أو الفقراء، فهم على الأقل لم يجربوا ما يعانيه هؤلاء.

– حقًّا ما تقول يا ياسين، ولذلك نجد منهم الكثير على مر العصور يضيعون ما بنى الآباء؛ لأنهم لم يتعبوا فيه، ولكن ذلك ليس قاعدةً دائمًا فمنهم من أحسن أباه تربيته وأدَّبه وسلَّمه للعلماء والمُربين فأخرج منه النموذج الحسن، ومن هؤلاء بل وأولهم عمر بن عبد العزيز.

- وأعلم أيضًا أن والد عمر كان أميرًا ولم يكن خليفةً، فكيف وصلت الخلافة إلى عمر؟

- ذلك حديث طويل يا ياسين، وأنت تتعجل الأمور دعنا نأخذ الطريق خطوةً خطوة.

- ولكني يا جدي، أريدك أن تحكي لي نماذج من عدله فلقد سمعت عنها الكثير، وأريد أن أعرف المزيد.

- ألم أقل لك: إنك متعجل، دعنا نبدأ من الإمارة فكما قلت لك: إن عمر تلقى تعليمه وتربيته عند أخواله بالمدينة المنورة مدينة العلم والعلماء، وقد كان معجبًا أشد الإعجاب بخاله عبد الله بن عمر بن الخطاب، وقد كان من الصحابة ومن أهل التقى والعلم والورع الشديد، وكان يُصرِّح بذلك لأمه ويقول: لأكونن مثل خالي عبد الله بن عمر، فيسعد به أبواه؛ نظرًا لمكانة عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولذلك تركوه في المدينة يرتع في علومها ويتخلق بأخلاق أهلها الكريمة والقريبة العهد برسول الله ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين-، فأحبها وسكن إليها حتى عندما عاد إلى مصر حيث يقطن أهله وحيث وُلِدَ كانت نفسه تتوق إليها وإلى طرقاتها؛ حيث كانت خطوات النبي- عليه الصلاة والسلام.

وفي ربيع الأول من عام سبعة وثمانون للهجرة وهو في الخامسة والعشرين من عمره ولَّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة المنورة، ثم ضمَّ إليه ولاية الطائف وبذلك صار واليا على الحجاز كلها، واشترط عمر لتوليه الأمارة بعض الشروط منها:

الشرط الأول:

أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدًا، ولا يجور على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال، ويترتب على ذلك أن يقل ما يُرفع للخليفة من الأموال من المدينة.

الشرط الثاني:

أن يسمح له بالحج في أول السنة؛ لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج، فوافق الوليد على شروطه.

وعندما قَدِم على المدينة واليًا صلى الظهر ودعا عشرة من علماء المدينة وأخيارها، وكوَّن منهم مجلس شورى بحيث لا يأخذ أمرًا ولا يخطو خطوةً إلا باستشارتهم، وجعل على رأسهم العالم التابعي الجليل " سعيد بن المُسيب " الذي لم يدخل على أمير قط في مجلس سوى على مجلس عمر بن عبد العزيز، وهم: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار،

والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا بكر بن سليمان، وعبد الله بن عامر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعوانًا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرًا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدًا يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامة فأحرج بالله، على من بلغه ذلك إلا أبلغني". فجزوه خيرًا وافترقوا.

- ولكن يا جدي، ما يذكره التاريخ عن ظلم بني أمية للرعية خاصةً ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي وهو من ولاتهم، فكيف استطاع عمر بن عبد العزيز أن يحكم بالعدل في ظل تلك الظروف؟

- سؤالٌ هامٌّ يا ياسين، لقد استطاع عمر أن يضرب المثل العملي في الحكم بالعدل والرحمة إلى جانب واحد مع حكم الأمويين الذي اتسم في بعض وجهاته بالشدة مع الناس، وذلك كي يرد على كل من يُلقي باللوم على الأخرين، ويقول: لم أستطع؛ لأنني لا أملك أن أصلح، أو أنني عبد المأمور، أو أنني أُنفذ الأوامر، وتلك كلها دعاوي باطلة ولن تنجّي أحدًا من غضب الله يوم القيامة، فقد فعلها عمر بن عبد العزيز ونشر في البلاد التي كانت سلطته عليها العدل والأمان، ورفع عن الناس

البطش والظلم الذي كانوا يعانونه من حكامهم السابقين، وأذاقهم حلاوة الرحمة وسكينة النفس، وابتعد بنفسه عن مظالم الحكام وفسادهم، وتحداهم في كل ما فعله، ولم يكن يقوم بالإصلاح السياسي فقط بل قام بحركة بناء واسعة، ومنها بناء المسجد النبوي ووسعه عن أمر الوليد له بذلك، وكان عمر يكره الحجاج بن يوسف أشد الكراهية ؛ بسبب طغيانه وظلمه، وكان مسئولا على الحج في إحدى السنين فأرسل عمر إلى الوليد يسأله أن يأمر الحجاج ألا يذهب إلى المدينة ولا يمر بها، رغم أنه يعرف ما للحجاج من مكانة في نفوس الخلفاء الأمويين، وأجاب الخليفة طلب عمر وكتب إلى الحجاج يقول:" إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يستعفيني من مرورك عليه بالمدينة، فعليك ألا تمر بمن يكرهك، ابتعد عن المدينة وأنت في طريقك للحج ".

– وهل نجا من سطوة الحجاج ونفوذه عند بني أمية يا جدي؟

– وكأنك فهمت اللعبة السياسية يا ياسين، إن هذا بالضبط ما حدث فلم يستطع الحجاج بظلمه الشديد للناس أن يكون بجواره نموذجًا للعدل يلتف حوله الناس، فربما يثورون على أمثاله من الطغاة، وهكذا هو دأب الظالمين دائمًا والفاشلين أيضًا

لا يحبون النجاح لأحد؛ لأنهم سينكشفون أمام الناس وتضيع مصداقيتهم، فوشى به الحجاج وشايةً إلى الوليد كانت سببًا في عزله، وقال له: إن ابن عمك أصبح خطرًا على حكم بني أمية، وإنه سيكون سببًا في تأليب الناس على الحكام والولاة.

ولما عُزِل منها وخرج من المدينة التفت إليها وبكى وقال لمولاه: " يا مزاحم، نخشى أن نكون ممن نفت المدينة"؛ يعني: أن المدينة تنفي الرجال السيئين منها كما ينفي الكير خبث الحديد وينصع طيبها، ونزل بمكان قريب منها يُقال له: السويداء حينًا، ثم قدم دمشق على بني عمه هو وزوجته فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان الذي زوَّجه منها وهو في العشرين من عمره، ومكث بها إلى أن مات الوليد بن عبد الملك، وتولى الخلافة بدلًا منه أخوه سليمان بن عبد الملك، وكان يحب عمرًا، ويعتبره أخًا وصديقًا ويأخذ بنصائحه.

التقويم

- اذكر أمثلة على مر التاريخ للحجاج بن يوسف الثقفي في فساده؟
- إذا صرت حاكمًا يومًا بمن تستعين؟ بأصدقائك المخلصين كي يساعدوك، أو بالعلماء كي ينصحوك، أو بقوة الجيش والشرطة كي تحميك؟
- ماذا تقول لمن يعتزل المجتمع، ويقول: إن كل شيء أصبح فاسدًا غير قابل للإصلاح ولن أستطيع أن أُغيِّر، ولا فائدة من أي عمل؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

الخلافة وتحمُّل المسئولية

– إذن، فقد اقترب عمر من الخلافة يا جدي، فكيف تمت مبايعته وهو ليس ابن الخليفة أو أخيه؟

– قبل أن أحدثك عن خلافته يا ياسين، هل تعرف أولًا ما هي الخلافة؟ وما هي مهام الخليفة أو الحاكم الذي يتولى أمر المسلمين أمام الله؟

– صراحةً.. لا ياجدي، إن كل ما أعرفه عن الحكم هو السيطرة على الناس وحياتهم، وإسكاتهم، والعيش في رفاهية القصور.

– هذا ما توقعته، ولست أنت وحدك يا ولدي الذي لا يعرف كيف يكون الحاكم، بل إن هناك الكثير من الرجال الذين لا يعرفون، ولذلك سأحدثك أولًا عن الحكم وكيف يجب أن يكون

حتى تعرف أن ما فعله عمر للمسلمين هو حقٌّ لهم، حقٌّ يجب أن يؤديه أي حاكم وليس منحةً يمنحها وقتما شاء ويمنعها وقتما أراد، إنما هو واجب عليه أن يفعل، وإلا فكما قال الصحابة لعمر بن الخطاب: " لو أخطأ عمر هكذا لقومناه بالسيف هكذا "؛ أي: نقتلك يا عمر، لو انحرفت عما أرادك الله أن تكون عليه، ولذلك يا ياسين، فإن الشعوب الواعية فقط هي التي تستطيع أن تحيا حياة العزة والكرامة والحرية، ولن تجد شعبًا جاهلًا مستسلمًا لا يريد الحركة، ولا يريد أن يبحث عن حقه ويعيش حياةً كريمةً أبدًا، فالحرية لا توهب من أحد، والعدل لا يوهب وإنما ينتزع انتزاعًا بالفهم والعلم وحسن المطالبة به.

- إذن، فما هي واجبات خليفة المسلمين يا جدي؟

- قل لي أنت يا ياسين، ما هي تلك الواجبات من وجهة نظرك؟

- أعتقد أنها يمكن أن تكون العدل، وتوفير مقومات الحياة الأساسية، والحماية.

- إن للرعية حقٌّ عظيم يا ياسين عند الحاكم، وذلك توضحه كثير من الأحاديث والتوجيهات النبوية، وهو هم ثقيل وعبء لا يقدر عليه إلا أولو العزم من الرجال، فقد ذكر النبي ﷺ عن

السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر أولهم " الإمام العادل ".

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى سائلٌ كل راعٍ عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**».

وقال ﷺ: «**ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولًا حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور**».

وعن ابن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه أنه قال لمعاوية: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة**».

وقال ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته، والرجلُ راعٍ على أهله وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عنه، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**».

وكان رسول الله ﷺ يدعو للراعي الشفيق، فعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي**

من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فأشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به».

ومن حق الرعية يا ياسين، أن يراعيهم ويتفقد أحوالهم ولا يعتمد في معرفة أخبار الناس على التقارير والوسطاء، وإنما يبحث بنفسه ولا يجعل بينه وبين الناس أبوابًا مغلقة تحول بينه وبينهم وبين مظالمهم، وإلا فكل ذو مظلمة في رقبته إلى يوم القيامة، تخيل يا ياسين، أن هذا ما كان يفعله الخلفاء الراشدون- رضوان الله عليهم- فهذا عمر بن الخطاب يسير في طرقات المدينة ليلًا يتفقد أحوال الرعية، وها هو يحمل الزاد لامرأة غريبة عن المدينة كانت تلد في الطريق، وها هو يغير القوانين من أجل طفل رضيع كان يبكي؛ لأن أمه قد فطمته مبكرًا كي يأخذ من مال الدولة ويلوم نفسه، ويقول: " كم قتلت من أطفال المسلمين يا عمر "، ويأمر أن تكون العطايا على كل مولود بمجرد ولادته، وها هو أبو بكر الصديق يحمل القمح على ظهره ويطحن الطحين للأرامل ويحمل الطعام للأيتام بنفسه..، ومن تفقد الأحوال أن لا يترك محتاجًا إلا ويعطيه ولا مدينًا غير قادرٍ على السداد إلا قام عنه بالسداد، ولا يترك شابًّا عاطلًا بلا عمل، أو أسرة فقيرة بلا بيت يأويها، والأمثلة من تاريخنا يا ولدي على ذلك كثيرة...

والحق الثاني أن يعدل بينهم فلا يحابي أحدًا على أحد سواء من أقاربه أو من أصدقائه ومعارفه، وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: «**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقي به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا، وإن أمر بغيره فإن عليه وزرًا**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم؛ الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**».

وقال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة ثلاثة؛ ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذي قربي مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**» [رواه مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحدٌّ يُقام في الأرض بحقه أزكي فيها من مطر أربعين صباحًا**».

- فكيف إذن يا جدي، كان عمر بن عبد العزيز من كل تلك الحقوق والواجبات؟

- إن عمر يا بني، لم يكن مجرد خليفة أو حاكم للمسلمين

إنما – وبشهادة العلماء– كان إمامًا تقيًّا ورعًا، قال عنه محمد بن علي ابن الحسين: " أما علمت أن لكل قوم نجيبًا، وأن نجيب بني أمية " عمر بن عبد العزيز " وأنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده ".

أتدري يا ياسين، ذات يوم مرض الخليفة سليمان بن عبد الملك مرض الموت، وشعر بأن نهايته قد اقتربت، فشغله أمر الخلافة؛ حيث إن أولاده كلهم صغار لا يصلحون لتولي أمور الخلافة، فشاور وزيره "رجاء بن حيوة " العالم الفقيه في هذا الأمر، فقال له:

إن مما يحفظك في قبرك ويشفع لك في أخراك، أن تستخلف على المسلمين رجلًا صالحًا.

قال سليمان: ومن عساه يكون؟

قال رجاء: عمر بن عبد العزيز.

فقال سليمان: رضيت، والله لأعقدن لهم عقدًا، لا يكون للشيطان فيه نصيب، ثم كتب بذلك بعد أن اتفق على كل التفاصيل، وكلف رجاءً بتنفيذه دون أن يَعْلَمَ أحدٌ بما فيه، وخاف سليمان أن يثور أمراء بني أمية ويرفضوا مبايعة عمر بن عبد العزيز بعد موته، فطلب الخليفة سليمان من رجاء أن يجمع الأمراء

ويطلب المبايعة على مَنْ في الكتاب دون أن يُعْلِمهم من هو ومن يرفض البيعة يقتله، فبايعوا دون علمهم، وأخفى رجاء بن حيوة الكتاب المختوم، وشعر عمر بن عبد العزيز بشيء فذهب إلى رجاء بن حيوة يستحلفه بالله إن كان الخليفة قد أوصى له بالخلافة فهو لا يريد هذا الأمر، ويريد أن يعفي نفسه من الخلافة قبل أن ينفذ الأمر، فرفض رجاء أن يخبره وقال: سبحان الله يستأمنني عليه وأفشي سره؟

مات سليمان، وأراد رجاء بن حيوة تنفيذ العهد لكن عمر كان لا يريد الخلافة، ولا يطمع فيها، ويعتبرها مسئوليةً كبيرةً أمام الله، شعر عمر بن عبد العزيز بالقلق وبعظم المسئولية، فقرر أن يذهب على الفور إلى المسجد حيث يتجمع المسلمون، وبعد أن صعد المنبر قال: لقد ابتليتُ بهذا الأمر على غير رَأْيٍ مِنِّي فيه، وعلى غير مشورةٍ من المسلمين، وإني أخلع بيعة من بايعني، فاختاروا لأنفسكم، لكن المسلمين الذين عرفوا عدله وزهده وخشيته من الله أصرُّوا على أن يكون خليفتهم، وصاحوا في صوت واحد: بل إياك نختار يا أمير المؤمنين، فبكى عمر وتولى الخلافة في يوم الجمعة العاشر من صفر سنة ٩٩هـ،

ويومها جلس حزينًا مهمومًا، وجاء إليه الشعراء يهنئونه بقصائدهم، فلم يسمح لهم، وقال لابنه: قل لهم: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [يونس: ١٥].

بويع بالخلافة بعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو لها كاره فأمر، فنودي في الناس بالصلاة، فاجتمع الناس في مسجد بني أمية – المسجد الأموي بدمشق، فلمَّا اكتملت جموعهم، قام فيهم خطيبًا، فحمد الله ثم أثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: "أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي مني فيه ولا طلب له ولا مشورة من المسلمين، وإني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم خليفةً ترضونه ". فصاح الناس صيحةً واحدةً: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فَولِ أمرنا باليمن والبركة.

فأخذ يحض الناس على التقوى ويزهِّدهم في الدنيا ويرغِّبهم في الآخرة، ثم قال لهم: " أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له على أحد، أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم "، ثم نزل عن المنبر وقد تمت البيعة للخلافة في دمشق سنة ٩٩ هجرية في مسجد دمشق الكبير (الجامع الأموي).

يقول التابعي العالم الجليل رجاء بن حيوة: " لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وقف بنا خطيبًا فحمد الله ثم أثنى عليه، وقال في جملة ما قال: يا رب، إني كنت أميرًا فطمعت بالخلافة فنلتها، يا رب إني أطمع بالجنة، اللهم بلِّغني الجنة. قال رجاء: فارتج المسجد بالبكاء فنظرت إلى جدران المسجد هل تبكي معنا".. ثم نزل، فقربوا له المَراكب والموكب كما كان يفعل بسلفه، قال: لا، إنما أنا رجل من المسلمين، غير أني أكثر المسلمين حِملًا وعبئًا ومسئوليةً أمام الله، قربوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسلمين.

نزل عمر بن عبد العزيز في غرفة في دمشق أمام الناس؛ ليكون قريبًا من المساكين والفقراء والأرامل..

دخلت عليه زوجته فاطمة وهو يبكي، فسألته عن سرِّ بكائه، فقال: إني تَقَلَّدْتُ من أمر أمة محمد ﷺ أسودها وأحمرها، فتفكرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذوي العيال الكثيرة، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض

وأطراف البلاد، فعلمتُ أن ربي سائلي عنهم يوم القيامة، فخشيتُ ألا تثبتَ لي حجة فبكيتُ.

وترك عمر زينة الحياة الدنيا، ورفض كل مظاهر الملك التي كانت لمن قبله من الخلفاء، وأقام في بيت متواضع بدون حرس ولا حجاب، ومنع نفسه التمتع بأمواله، وجعلها لفقراء المسلمين، وتنازل عن أملاكه التي ورثها عن أبيه، ورفض أن يأخذ راتبًا من بيت المال، كما جرَّد زوجته فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان من حليها وجواهرها الثمينة، وطلب منها أن تعطيها لبيت المال، فقال لها:

اختاري..إما أن تردي جواهرك إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنتِ ومعك هذه الجواهر في بيت واحد، فأنت تعلمين من أين أتى أبوك بها، فقالت: بل أختارك يا أمير المؤمنين عليها وعلى أضعافها لو كانت لي، فأمر عمر بتلك الجواهر فوضعت في بيت المال.

- وما موقف أولاده من كل ما يحدث يا جدي؟ هل قبلوا هذا التغيير بسهولة؟

- إن المربي يا بني، لا بد أن يحصد في النهاية وقد ربَّى عمر

أبناءه على ما تربى عليه من تقوى والتزام بما شرَّع الله، فبعد المبايعة اتجه عمر إلى بيته وأوى إلى فراشه، فما كاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ابنه عبد الملك وكان عمره آنذاك سبعة عشر عامًا، وقال: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فرد عمر: أي بني، أريد أن أغفو قليلًا فلم تبقَ في جسدي طاقة.

قال عبد الملك: أتغفو قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: أي بني، إني قد سهرت البارحة في عمك سليمان، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله.

فقال عبد الملك: ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟! فقام عمر وقبَّل ابنه وضمه إليه، ثم قال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني.

- وما موقف الأمراء من كل ذلك وهم أكثر الناس تضررًا من تلك الإصلاحات بعدما كانت مقاليد الدولة كلها في أيديهم؟

- كانت تلك أكبر عقبة في طريقه، ولكن بالاستعانة بالله والاعتماد عليه استطاع أن يواجههم بكل قوة وحزم.. فقد نظر إلى بيت المال فإذا اسمه بيت مال المسلمين، بيت مال من؟ بيت

مال المسلمين ليس بيت مال عمر، ولا بيت مال الأمراء، ولكن بيت مال المسلمين فكل مال أُخذ من بيت مال المسلمين فدُفع إلى أميرٍ قام عليه عمر فرده حيث أخذ، واستشاط أمراء بني أمية غضبًا فأرسلوا إليه ابنه عبد الملك، فقالوا: يا عبد الملك، إما أن تستأذن لنا على أبيك وأما أن تبلغه عنا.

قال: قولوا.

قالوا: أخبره أن من كان قبله من الأمراء يعطوننا أعطياتٍ ويصلوننا بصلاتٍ وأنه قد قطعها عنا، مُرْه فليردها علينا.

وأبلغ عبد الملك أباه المقالة، فقال عمر: ارجع إليهم فقل لهم:

إن أبي يقول: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. لجام ألزم عمر به نفسه.

وأتاه أحد بني عمه وكان سليمان أمر له بعشرين ألف دينار ومات سليمان قبل أن يقبضها، فأتى الرجل يرجو عمر أن يُمضي عطاء سليمان، فلمَّا جلس إليه قال: يا أمير المؤمنين، إن أقاربك وبني عمك يشتكونك.

قال: ولماذا؟

قال: يذكرون أنك لا تعطيهم كما يعطي الخلفاء قبلك.

قال: إن مالي لا يتسع لهم فأقسمه بينهم.

قال: يا أمير المؤمنين، إنهم لا يسألونك من مالك ولكن يسألونك من بيت المال.

قال: من بيت مال المسلمين يسألوني؟! والله ما لهم ولرجلٍ في أقصى المغرب في بيت المال سواء.

قال:يا أمير المؤمنين، إن سليمان قد أمر لي بعشرين ألف وأنه مات قبل أن أقبضها، وأنت أحق من أمضى عطاءه.

فانتفض عمر وقال: عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف من المسلمين تأخذها أنت؟! لا والله لا تأخذها أبدًا.

فقام الرجل يائسًا منه وهو الذي يذكر قرباه وسابق مودته، فلما وصل الباب ناداه عمر: يا أبا خالد.

فظن أن عمر تذكر قرابته وصداقته فقرر أن يعطيه المال الذي يطلبه، فلما أتيت إليه قال: أيها الرجل، أذكر الموت فإنه ما ذُكر في قليل إلا كثره وما ذُكر في كثير إلا قلله.

التقويم

- من وجهة نظرك من أين يأتي الإصلاح، من الراعي؟ أو الرعية؟ أو كليهما؟
- هل تظن أن البطانة السوء يمكن أن تغوي حاكمًا؟ أو أنه يكون عنده الاستعداد أصلًا للغواية والانحراف بطبعه؟
- ما دور الأبناء في مساعدة الآباء خاصةً إذا كانوا من المنوط بهم مسئولية معينة؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

لا وسيط بين الحاكم وشعبه

– أظن أن عمر بن عبد العزيز يا جدي قد كانت له سياسة خاصة في إدارة الدولة وخطوات إصلاحية، فما الذي فعله لمواجهة الفساد القائم؟

– بعض الناس يا ولدي يظن أنه مع كثرة الفساد والمفسدين يحسب أنه لا يمكن الإصلاح أبدًا، ويملأه اليأس ويرفع يده عن الإصلاح، ويكون شعاره " لا فائدة "، وهذا هو ما يريده الطغاة والظالمون، أن ييأس الناس ويستسلمون ويسلمون للأمر الواقع، أما عمر فلم يفعل ذلك ولم يستسلم مع أن التيار كان شديدًا جدًّا، وبينما هو أمير على المدينة وما حولها فعل كل ما يمكن أن يفعله الحاكم العادل الرحيم بشعبه حتى وإن كانت إمارةً صغيرةً، وكذلك فعل حين أصبح خليفةً للمسلمين فقد كان يحيط به الأمراء أبناء عمومته وكانوا شديدي النفوذ والتسلط، وكانوا قد استولوا على الأموال العامة " أموال بيت مال المسلمين " واعتبروها حقًّا خالصًا لهم، أيضًا أراضي الدولة ومقدراتها فكل منهم اقتطع لنفسه آلاف الأفدنة وبنوا القصور وعاشوا عيشةً لا يتخيلها الفقراء من أبناء الشعب المسكين وذلك لمجرد أنهم

أقرباء للخليفة، وليس هذا فقط بل كان هناك الوزراء الخونة الذين كانوا يقفون حائلًا بين الخليفة وبين شعبه فكانوا يظلمون ويبطشون ويسرقون مقدرات رعيتهم، وعندما ولي عمر أمر المسلمين فكان أول قرار اتخذه، عزل الوزراء الخونة الظلمة، الذين كانوا في عهد سليمان، استدعاهم أمامه وقال لأحدهم: اغرُب عني يا ظالم، رأيتك تُجلس الناس في الشمس، وتجلدهم بالسياط، وتُجوّعهم وأنت في الخيام والحرير.

واستدعى الآخر وقال: أغرب عني، والله لا تلي لي ولايةً، رأيتك تقدم دماء المسلمين لسليمان بن عبد الملك.

ثم عيّن وزراءه وأمراءه من العلماء والصالحين من المسلمين، وكتب إلى علماء العالم الإسلامي رسالة إلى من؟ إلى الحسن البصري، ومُطرّف بن عبد الله، وسالم بن عبد الله بن عمر؛ أن اكتبوا لي كتبًا انصحوني وعِظوني، قبل أن ألقى الله ظالمًا.

فكتبوا له رسائل تتقطع منها القلوب، وتشيب لها الرؤوس.

كتب له الحسن: "يا أمير المؤمنين، صم يومك؛ لتفطر غدًا".

وقال سالم: "يا أمير المؤمنين، إنك آخر خليفة تولَّى، وسوف تموت كما مات من قبلك".

وخوَّفوه ووعدوه.

وجعل أصحابه الذين يجلسون معه ليلًا سبعة من العلماء، يتسامرون معه بعد صلاة العشاء، واشترط عليهم ثلاثة شروط:

الشرط الأول: ألا يُغتاب مسلم.

الشرط الثاني: ألا يُقدِّموا له شِكاية في مسلم، التقارير المخزية في أعراض المسلمين، وفي كلمات المسلمين، ومجالس المسلمين، أبى أن تُعرض عليه أو تُرفع إليه.

الشرط الثالث: أن يكون مجلسه خاليًا من الضحك والسمر، إنما يذكرون الآخرة وما قرب منها، فكان يقوم معهم، وهم يبكون، كأنهم قاموا عن جنازة.

ثم صعد عمر المنبر وأعلن سياسة حكومته الجديدة، وأتى بمزاحم مولاه، وهو مولًى أسود، قوي البُنية، يخاف الله.

قال: يا مزاحم، والله إني أحبك في الله، أنت وزيري.

قال: ولِم يا أمير المؤمنين؟!

قال: رأيتك يومًا من الأيام تصلي وحدك في الصحراء صلاة الضحى لا يراك إلا الله، ورأيتك يا مزاحم تحب القرآن، فكن معي.

قال: أنا معك.

فاعتلى عمر بن عبد العزيز المنبر، وكان بيده دفتر، كتب فيه معلومات ضرورية، عن خطوط عرض لدولته وخلافته، ووقف مزاحم بالسيف، والأمراء الظلمة من بني أمية، الذين أخذوا أراضي الناس، وبيوت الناس، وقصور الناس، وضربوا وجوه الناس، وآذوا الناس، جعلهم في الصف الأول.

قال عمر: أولًا: هذا كتاب عبد الملك بن مروان، بإقطاعية الأرض لكم يا بني مروان، وقد صدق الله، وكذب عبد الملك بن مروان، ثم قطع الصك (عقد ملكية الأرض).

ثم قال: ائتني بصكوك بني أمية، فسلم له صكًّا للعباس بن الوليد بن عبد الملك أخذ أرضًا شاسعةً يمكن أن تكون أرض مدينة، فأخذه بالمقص فقصَّه كله وأتلفه، وقال: لا حقَّ لك في ديار المسلمين.

قال: يا أمير المؤمنين، أعد لي أرضي وإلا لي ولك شعري – يتهدده –.

قال: والله، إن لم تسكت ليأتيني مزاحم برأسك الآن. فسكت، ثم أتى إلى الصكوك طيلة صلاة الجمعة، يُشققها طولًا وعرضًا؛ لأنها صكوك بُنيت على الظلم.

واستمر به الحال على هذا المستوى، واستدعى مهاجرًا أحد الوزراء، وقال: كن بجانبي، فإذا رأيتَني ظلمت مسلمًا أو انتهكت عرضًا، أو شتمت مؤمنًا، فخذ بتلابيب ثوبي وقل: اتقِ الله يا عمر. فكان وزيره مهاجر يهزه دائمًا، ويقول: اتقِ الله يا عمر.

- والله يا جدي لقد جعلتني أحبه، وأتمنى لو أني كنت واحدًا من رعيته، احكي لي المزيد من مواقفه مع الناس.

- سأحكي لك يا ولدي عن موقف له مع امرأة من رعيته جاءت إليه من العراق، فلما صارت إلى بابه قالت: هل على أمير المؤمنين حارس؟

فقالوا: لا، ادخلي البيت إن أحببت.

فدخلت المرأة على فاطمة زوجته وهي جالسةٌ في بيتها، وفي يدها قطن تغزله فسلمت، فردت عليها السلام، وقالت لها: ادخلي.

نظرت المرأة حولها فلم تجد لا أثاث ولا متاع من متاع الدنيا ولا منزل يشبه منازل الحكام، فقالت المرأة متعجبةً: جئتُ لأعمر بيتي من هذا البيت الخراب.

فقالت لها فاطمة: إنما خرِّب هذا البيت عِمارة بيوت أمثالك.

بعد قليل دخل الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الدار بملابسه البسيطة وتوجه إلى أحد جوانب البيت وكشف غطاء بئر به، وأحضر دلو ماء منه وصبه على الأرض؛ ليصنع منه طينًا، بينما ينظر إلى زوجته مبتسمًا بين الحين والآخر، فنظرت المرأة إلى فاطمة وقالت لها: إن هذا الرجل يطيل النظر إليك فاستري نفسك منه.

فنظرت إليها فاطمة مبتسمةً وقالت لها: إنه ليس خادم ولا عامل، إنه أمير المؤمنين.

قال: ثم أقبل عمر، فسلم، ودخل بيته، فمال إلى مصلًّى كان له في البيت فصلى عليه، فسأل فاطمة عن المرأة فقالت: هي هذه.

فأخذ مكتلًا إناءً فيه بعض العنب، فجعل يتخيّر لها خيره ويناولها إياه.

ثم أقبل عليها فقال: حاجتك؟ (أي ماذا تحتاين)

فقالت: امرأة من أهل العراق، لي خمس بنات كُسلٌ كُسُدٌ، فجئتُ أبتغي حسن نظرك لهن.

فجعل يقول: كُسُلٌ كُسُدٌ، ويبكي.

فأخذ الأوراق والقلم، وكتب إلى والي العراق فقال: اذكري اسم الكبري فذكرته، فكتب لها مبلغًا من المال.

فقالت المرأة: الحمد لله.

ثم سأل عن اسم الثانية، والثالثة والرابعة والمرأة تحمد الله، فلما فرض للأربع زاد فرحها ولم تصدق، ومن شدة فرحها دعت له وقالت له جزاك الله خيرا، فرفع يده وقال: كنا نفرض لهن حيث كنتِ تولين الحمد أهله وهو الله وحده، فمري هؤلاء الأربع يفضنَ على هذه الخامسة؛ أي: أنه ظل يعطيها ويكتب لبناتها راتب من الدولة وهي تحمد الله على عطائه فلما شكرته هو وأثنت عليه امتنع عن العطاء، وقال بأنك كنت تحمدي الله وهو عطاؤه، أما حين شكرتني فأنا لا أعطي فلتأخذ من مال أخواتها.

فخرجت بالكتاب حتى أتت به العراق، فدفعته إلى والي العراق، فلما دفعت إليه الكتاب بكى واشتدَّ بكاؤه وقال: رحم الله صاحب هذا الكتاب.

فقالت: أمات؟

قال: نعم.

فصاحت وولولت، فقال: لا بأس عليك، ما كنتُ لأردَّ كتابه في شيء.

فقضى حاجتها، وفرض لبناتها.

وموقف آخر يا بني، يوضح اهتمامه بأدق الأمور فيما يخص الناس مهما ظهرت صغيرة، وهو الخليفة التي كانت تمتد حدود دولته من مشارق الأرض ومغاربها، فقد حمل البريد يومًا إليه رسالةً من الجيزة بمصر، أما صاحبة الرسالة فاسمها " فرتونة السوداء "، تشكو لأمير المؤمنين أن لها حائطًا متهدمًا لدارها يستعمله اللصوص ويسرقون دجاجها وليس معها مال تنفقه في هذا السبيل، وبمجرد أن يقرأ الرسالة وهو في عاصمة خلافته بالشام حتى يرسل إلى واليه على مصر " أيوب بن شرحبيل " هذا الخطاب:

"من عبد الله عمر- أمير المؤمنين- إلى أيوب بن شرحبيل سلام الله عليكم.. أما بعد فإن "فرتونة السوداء" كتبت إليَّ تشكو قِصر حائطها وإن دجاجها يُسرَق منها وتسأل تحصينه لها.. فإذا جاءك كتابي هذا فاركب بنفسك وحصنه لها".

والبريد نفسه الذي حمل هذا الكتاب لوالي حمل كتابًا آخرًا من الخليفة لـ"فرتونة السوداء":

"من عبد الله عمر بن عبد العزيز- أمير المؤمنين- إلى فرتونة السوداء.. سلام الله عليكِ، أما بعد فقد بلغني كتابك وما ذكرت فيه من قصر حائطك حيث يُقتحم عليك ويُسرق

دجاجك، وقد كتبت إلى أيوب بن شرحبيل آمره أن يبني لك الحائط حتى يحصنه مما تخافين إن شاء الله...".

ويقول ابن الحكم الذي روى هذه الواقعة: " فلما جاء الكتاب إلى أيوب بن شرحبيل ركب بنفسه حتى أتى الجيزة وظل يسأل عن "فرتونة السوداء" حتى وجدها، فإذا هي سوداء مسكينة فأعلى لها حائطها ".

خرج ذات ليلة إلى المسجد ومعه رجل من الحراس، فلمَّا دخل عمر المسجد مرَّ في الظلام برجل نائم، فأخطأ عمر وداس عليه، فرفع الرجل رأسه إليه وقال: أمجنون أنت؟ فقال: لا، فتضايق الحارس وهَمَّ أن يضرب الرجل النائم فمنعه عمر، وقال له: إن الرجل لم يصنع شيئًا غير أنه سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

وكان عمر بن عبد العزيز رقيق المشاعر، رحيمًا بالإنسان والحيوان، كتب ذات يوم إلى واليه في مصر قائلًا له: بلغني أن الحمالين في مصر يحملون فوق ظهور الإبل فوق ما تطيق، فإذا جاءك كتابي هذا، فامنع أن يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.

التقويم

- من وجهة نظرك هل يمكن أن يستمر الإصلاح دون متابعة من المسئول؟
- هل يجب أن يقتصر اهتمام الحاكم بالأمور الهامة فقط في الدولة ويتفرغ لها؟ أم يجب عليه متابعة الكبيرة والصغيرة؟
- لو صرت اليوم حاكمًا ما هي أول القرارات التي ستتخذها في بداية تسلمك الحكم؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

المظالم والفقراء

– ترى يا جدي، لو أحيا الله عمر بن عبد العزيز اليوم هل كان يتصور أن ما نحن عليه اليوم هو حال أمة المسلمين؟! إنني لا أرى من الإسلام اليوم غير اسم ورسم فقط، فلا كرامة ولا عزة، ولا أمن ولا أمان، ولا عدل.

– صدقت يا ياسين، ومع هذا فقد كانت الفترة التي سبقت حكم عمر تشبه إلى حدٍّ كبير ما نحن عليه، وها قد أتى عمر وغيَّر وأصلح، لقد كان همه الأول والأخير أن يعيش المسلمون في عزة وكرامة، ينعمون بالخير والأمن والأمان، كتب إلى أحد أمرائه يقول: لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه، وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، وكان يأمر

عماله بسداد الديون عن المحتاجين، وتزويج من لا يقدر على الزواج، بل إن مناديه كان ينادي في كل يوم: أين الغارمون ـ أي المدينين الذين لا يستطيعون سداد ديونهم؟

أين الناكحون؟ ـ أي الذين يريدون الزواج وليس لديهم نفقات.

أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى استطاع بفضل من الله أن يغنيهم جميعًا.

خرج عمر راكبًا؛ ليعرف أخبار البلاد، فقابله رجل من المدينة المنورة فسأله عن حال المدينة، فقال: إن الظالم فيها مهزوم، والمظلوم فيها ينصره الجميع، وإن الأغنياء كثيرون، والفقراء يأخذون حقوقهم من الأغنياء، ففرح عمر فرحًا شديدًا وحمد الله، وهكذا رجل من ولد (زيد بن الخطاب) يقول: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصف، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فيرجع بماله يبحث عمن يعطيه فما يجد، فيرجع بماله قد أغنى الله الناس على يد عمر.

طُلب منه أن يأمر بكسوة الكعبة،كما جرت العادة بذلك كل

عام، فقال: إني رأيت أن أجعل ذلك ـ ثمن كسوة الكعبة ـ للفقراء الذين لا يجدون طعامًا، فإنه أولى بذلك من البيت.

والكثير الكثير من المواقف يا ياسين، فقد كانت حياة عمر- كل لحظة فيها- غنيةً بالمعاني والدروس والعبر لكل من أراد أن يعتبر، كان عمر قد جمع جماعةً من الفقهاء والعلماء وقال لهم: "إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي، فما ترون فيها؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن ذلك أمرًا كان في غير ولايتك، وإن وزر هذه المظالم على من غصبها "، فلم يرتح عمر إلى قولهم وأخذ بقول جماعة أخرين منهم ابنه عبد الملك الذي قال له: أرى أن تردها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل كنت شريكًا للذين أخذوها ظلمًا. فاستراح عمر لهذا الرأي وقام يرد المظالم إلى أهلها.

كان شديد المحاسبة لنفسه وَرِعًا تقيًّا، كان يقسم تفاحًا رزق الله به المسلمين، فتناول ابنٌ له صغير تفاحةً، فأخذها من فمه، وأوجع فمه فبكى الطفل الصغير، وذهب لأمه فاطمة، فأرسلت من أشترى له تفاحًا.

وعاد إلى البيت وما عاد معه بتفاحة واحدة، فقال لفاطمة: هل في البيت تفاح؟ إني أَشُمُ الرائحة، قالت: لا، وقصت عليه القصة – قصة ابنه– فَذَرفت عيناه الدموع، وقال: والله لقد انتزعتها من فم ابني وكأنما أنتزعها من قلبي، لكني كرهت أن أضيع نفسي بتفاحة من حق المسلمين قبل أن يُقَسَّم عليهم.

– ولكن يا جدي، ألا ترى معي أن الحاكم إذا لم يعطي للولاة راتبًا كافيًا لحياة كريمة فهذا يدفعهم إلى قبول الرشوة، ويلجأون إلى الطرق الغير مشروعة لكسب المال؟

– ألم أقل لك يا ياسين إنك تتعجل الأحداث، ومع ذلك إن معك حق فيما تقول، فعمر بن عبد العزيز أدرك ذلك جيدًا ولذلك فإن ما فعله أنه كان يختار ولاته بعد تدقيق شديد، ومعرفة كاملة بأخلاقهم وقدراتهم؛ فلا يلي عنده منصبًا إلا من رجحت كفته كفاءةً وعلمًا وإيمانًا، وحسبك أن تستعرض أسماء من اختارهم لولاياته؛ فتجد فيهم العالم الفقيه، والسياسي البارع، والقائد الفاتح، من أمثال: أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أمير المدينة وقاضيها، والجراح بن عبد الله الحكيمي، أمير البصرة، وكان قائدًا فاتحًا، وإداريًّا عظيمًا، وعابدًا قائدًا، وكان باقي ولاته على هذه الدرجة من القدرة والكفاءة.

وكان عمر لا يكتفي بحسن الاختيار بعد دراسة وتجربة، بل كان يتابع ويراقب، لكن مراقبته لم تكن مراقبة المتهم، بل كان يراقب تطبيق السياسة العامة التي وضعها للدولة.

وإذا كان قد أخذ نفسه بالشدة والحياة الخشنة، فإنه لم يلزم بها ولاته، بل وسَّع عليهم في العطاء، وفرض لهم رواتب جيدةً تحميهم من الانشغال بطلب الرزق، وتصرفهم عن الانشغال بأحوال المسلمين، كما منعهم من الاشتغال بالتجارة؛ أي: أنه لا يجوز أبدًا أن تكون صاحب تجارة وتكون حاكمًا، فلا يمكن أن تجتمع المصلحتان أبدًا، وأعطى لهم الحرية في إدارة شئون ولاتهم؛ فلا يشاورونه إلا في الأمور العظيمة، وكان يظهر ضيقه من الولاة إذا استوضحوه في الأمور الصغيرة، حيث كتب إليه أحد ولاته يستوضح منه أمرًا لا يحتاج إلى قرارٍ من الخليفة، فضاق منه عمر، وكتب إليه: "أما بعد، فأراك لو أرسلتُ إليك أن أذبح شاةً، ووزِّع لحمها على الفقراء، لأرسلت إليَّ تسألني: كبيرة أم صغيرة؟ فإن أجبتك أرسلت تسأل: بيضاء أم سوداء؟ إذا أرسلت إليك بأمر، فتبيَّن وجه الحق منه، ثم أمْضِه".

"قال عنه رجاء بن حيوة - رحمه الله تعالى-: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: من صحبني فليصحبني بخمس صفات؛

يدلني على العدل إلى ما لا اهتدي، ويكون عونًا على الخير، ويبلغني حاجة من لا أستطيع إبلاغها، ولا يغتاب عندي أحدًا، ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس، وإلا فهو في حرج من صحبتي والدخول عليَّ ".

كان يدور في ظلام الليل يسأل: هل من مريض فأعوده؟ هل من أرملة فأقوم عليها؟ هل من جائع فأطعمه؟ يقول أحد ولاته: ذهبت إلى إفريقيا، أوزع الزكاة، فوالله ما وجدت فقيرًا في طريقي، لقد أغنى عمر بن عبد العزيز الفقراء، فما بقى فقير، ولا جائع، ولا مَدين، ولا شابٌّ أعزب.

دخل عليه زياد المولى أحد العلماء، فرأى وجهه شاحبًا باكيًا، أثر الدموع في أجفانه، أثر الجوع والفقر على خديه، ثوبه مُرقّع، قال: يا أمير المؤمنين، أين القصور التي كنت تسكنها، والملابس التي كنت تلبسها، والنعيم الذي كنت تعيشه؟!

قال: هيهات يا زياد، ذهب ذلك، لَعليّ تغيرت عليك.

قال: أي والله!

قال: كيف بي لو رأيتني بعد ثلاث ليالٍ، إذا طُرحت في القبر، وقطعت أكفاني، وسار الدود على خدي، وأكل عيني، ووقع التراب على أنفي، والله لقد كنت أشدَّ تغيرًا مما تراه!!

التقويم

- ما هو حق الفرد كما فهمته من الفقرة السابقة؟
- ما هي وجهة نظرك في مسئول يتملك المصانع والشركات والمشروعات الاستثمارية ويديرها إلى جانب مسئولية المسلمين التي يتولاها؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وأكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

وحان الرحيل

وبعد فترة حكمه التي دامت تسعة وعشرين شهرًا، اشتد عليه المرض، فجاءه ابن عمه مسلمة بن عبد الملك، فقال له: يا أمير المؤمنين، ألا توصي لأولادك، فإنهم كثيرون، وقد أفقرتهم، ولم تترك لهم شيئًا؟!

فقال عمر: وهل أملك شيئًا أوصي لهم به، أم تأمرني أن أعطيهم من مال المسلمين؟ والله لا أعطيهم حق أحد، وهم بين رجلين؛ إما أن يكونوا صالحين فالله يتولاهم، وإما غير صالحين فلا أدع لهم ما يستعينون به على معصية الله، وجمع أولاده، وأخذ ينظر إليهم، ويتحسس بيده ثيابهم الممزقة؛ حتى ملأت عيناه بالدموع، ثم قال: يا بَنِي، إن أباكم خُيِّرَ بين أمرين.. بين أن

تستغنوا؛ (أي تكونوا أغنياء) ويدخل أبوكم النار، وبين أن تفتقروا، ويدخل أبوكم الجنة، فاختار الجنة.. يا بَنِي، حفظكم الله ورزقكم، وقد تركتُ أمركم إلى الله وهو يتولى الصالحين.

وقد خلّف لكل واحد منهم اثني عشر درهمًا فقط، وأما هشام بن عبد الملك الخليفة، فخلّف لكل ابن من أبنائه مائة ألف دينار، وبعد عشرين سنة، أصبح أبناء عمر بن عبد العزيز، يملكون الخيول التي يطلقونها في سبيل الله، مُنفقين متصدقين من كثرة أموالهم، وأبناء هشام بن عبد الملك في عهد أبي جعفر المنصور، يقفون في مسجد دار السلام يتسولون ثم قال لأهله: أخرجوا عني، فخرجوا، وجلس على الباب مَسْلَمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعاه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قرأ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

ومات عمر بعد أن ضرب المثل الأعلى في العدل والزهد والورع... مات أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين!!

بكى ياسين من شدة تأثره وحزنه حتى لكأن وفاة عمر بن عبد العزيز كانت اليوم فقط، بكى ليس على وفاة خامس الخلفاء الراشدين فقط، وإنما لشوقه الشديد لأن يكون بيننا اليوم ـ ونحن في أشد الحاجة إلى ـ عمر آخر.

التقويم

○ ما الرسالة التي تحب أن توجهها لأي حاكم بعد أن قرأت قصة عمر بن عبد العزيز؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

دروس من ياسين

مرت الأيام القليلة الماضية سريعًا وقد كانت بمثابة نقطة تحول في مسار ياسين الذي قرر أن يمعن النظر في التاريخ الإسلامي الحافل بالأحداث العظيمة وبما لم تحفل به أي حضارة أخرى.. وحاول أن يجمع معلومات أكثر عن عمر بن عبد العزيز ثم تطرق إلى الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي أثناء ذلك ظهرت نتيجة الامتحانات وحصل ياسين على درجات جيدة وقرر جده أن يهنئه على طريقته بنزهة في المنتزه وغداء سمك على شاطئ الإسكندرية، نزهة فرح بها ياسين كثيرًا..

وذات ليلة بينما هو جالس مع جده الجلسة المعتادة، فقال ياسين:

- تصور يا جدي، أنني ما كنت أتخيل يومًا أنه يمكن أن يمر يوم دون أن أقرأ شيئًا من كتب الأساطير أو الخيال العلمي أو

القصص البوليسية المرعبة..، أما الآن فإنني أجد نفسي شغوفًا بتاريخ أجدادنا حتى أنني أجد نفسي وكأنني أعيش بينهم، أفرح بانتصارهم، وأحزن لفراق أحدهم بانتهاء قصته.

- وما زلت أتوقع المزيد- يا بني- من تعلق قلبك بتاريخ بلادك، حينما تقرأ المزيد وتتعلم المزيد.

- ولكن ما لفت نظري يا جدي، أن صفات القادة العظماء في كل مجال كانت متشابهة، وأن تربيتهم تقريبًا واحدة، والأسس التي تربوا عليها واحدة.

- وما هي تلك الأسس من وجهة نظرك يا ياسين؟

➢ **الأساس الأول**: تلقي العلم في الصغر، فكل من قرأت عنهم تقريبًا كانوا منذ صغرهم يتلقون أحدث علوم عصرهم؛ من علوم القرآن إلى دراسة السيرة، والسنة، والفقه، وسير السابقين، وعلوم الرياضيات، وعندما تطور الأمر بعد ذلك وتوسعت العلوم وجدت أن أي قائد كان يتتلمذ على أيدي العلماء في عصره.

➢ **الأساس الثاني**: أنهم كانوا جميعًا ومنذ الصغر يتصفون بالورع والتقوى.

➢ **الأساس الثالث**: العلاقة بالأساتذة كانت على أعلى درجة من الاحترام والتقدير مهما بلغت مكانة المتعلم، وقد كان

أغلبهم من الأمراء فتجد خفض الجناح والطاعة التامة للأستاذ حتى لو قسى عليه أحيانًا..، إنني قرأت أن الناس حين كانوا يلاقون الملوك والسلاطين كانوا ينحنون أمامهم ويقبلون أيديهم، أما العلماء فكان العكس هو ما يحدث فكان السلطان هو مَنْ يُقبِّل يد العالم وينحني له ويخفض صوته أمامه.

➢ **الأساس الرابع**: العلاقة بالآباء، فالعلاقة دائمًا تتسم بالود والوفاق، والمشاركة في الاهتمامات والمسئوليات، فكانوا يتعلمون منذ صغرهم فنون القتال وفنون السياسة إلى جانب ما يتعلمونه من العلوم، فكان يخرج في سن صغيرة وهو مؤهل للقيادة فعلًا.

– أحسنت يا ياسين في استنتاجاتك كلها، وقد اختصرت عليَّ الطريق في قصتنا التالية.

– وأنا في اشتياقٍ شديدٍ يا جدي لسماع تفاصيلها، وقد قرأت فعلًا عنها.

– إذن طالما أنك قرأت فاشترط عليك ألا تقاطعني، وفي النهاية وأنت الآن قادر على تحليل الأحداث سأترك لك فرصة المناقشة وعرض ما قد يتبدى لك من أفكار، فالأحداث في هذه القصة سريعة ومتلاحقة وخطيرة.

– أوافق يا جدي، فلتبدأ ولن أقاطعك.

التقويم

- من قراءاتك وملاحظاتك هل تظن أن القائد يولد بطبعه قائدًا أم أنه يمكن إعداده بالعلم والدراسة؟
- عدَّد ياسين صفات القائد وهو صغير، ما رأيك فيها؟ وماذا يمكن أن تضيف إليها كي نتوقع أن فلانًا سيصبح قائدًا ناجحًا؟
- في رأيك ماذا يمكن أن نفعل اليوم كي نكرر نماذج مثل عمر بن عبد العزيز؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

صاحب البشارة

قال رسول الله ﷺ: «**لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**».

ظل ذلك الحديث الشريف يمثل حلمًا لكل الفاتحين المسلمين لمدة ثمانية قرون متوالية، كلٌّ منهم يتمنى أن يكون هو المقصود بتلك البشارة النبوية، بأن يكون هو الأمير المقصود، والقسطنطينية هي مدينة اسطنبول بتركيا الآن، وبدأت المحاولات لفتحها منذ عهد الصحابي معاوية بن أبي سفيان سنة(٤٤) هجرية، وقد امتدت الدولة الإسلامية في عهده وانتشر الإسلام انتشارًا واسعًا واتسعت رقعة الدولة، فطمح الفاتحين في عهده إلى فتح القسطنطينية تلك المدينة المحصنة، ومن وقتها

وتوالت المحاولات وكان أهمها وأقواها الحملة التي أرسلها سليمان بن عبد الملك سنة (٩٨)هـ، ولكنها أيضًا باءت بالفشل إلا أنها أثرت بشكل مباشر وقوي على المدينة وأهلها.

أيضًا من المحاولات التي أثرت على الأحداث بها الحملة التي تمت في عهد هارون الرشيد في الدولة العباسية سنة (١٩٠) هجرية، وبعد ذلك جرت محاولات عدة لفتحها إلا أنها باءت جميعها بالفشل..

إلى أن جاء صاحب البشارة النبوية الذي رباه شيخه على أنه صاحبها وأنه هو المقصود منها، فمن هو؟

إنه " محمد الفاتح " ابن السلطان العثماني " مراد الثاني "، ولد "محمد" في (٢٧من رجب ٨٣٥ هـ\ ٣٠ من مارس ١٤٣٢م) ونشأ تحت رعاية أبيه السلطان "مراد الثاني"، سابع سلاطين الدولة العثمانية الذي عمل على تعليمه وإعداده ليكون جديرًا بمنصب السلطان والقيام بمسئوليته، فأتم "محمد الفاتح" حفظ القرآن، وقرأ الحديث النبوي، وتعلَّم الفقه الإسلامي.

ودرس "محمد الفاتح" الرياضيات والفلك وفنون الحرب والقتال، كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم التي كان

يتلقاها في مدرسة الأمراء وخاصةً معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ.

وقد نجح الشيخ "آق شمس الدين"- وكان واحدًا ممن قام على تربية "محمد الفاتح" وتعليمه - في بث روح الجهاد والتطلع إلى معالي الأمور في نفس الأمير الصغير، وأن يلمح له بأنه المقصود ببشارة النبي ﷺ.. وكان لهذا الإيحاء دور كبير في حياة "محمد الفاتح" فنشأ محبًّا للجهاد، عالي الهمة والطموح، واسع الثقافة، وعلى معرفة هائلة بفنون الحرب والقتال.

- عذرًا يا جدي على المقاطعة، ولكن لماذا القسطنطينية بالذات التي اهتم بها الفاتحون بهذا الشكل؟

- عندك حق يا ياسين في هذا السؤال، إن القسطنطينية من أهم المدن العالمية وهي المدينة التي أسسها الإمبراطور "قسطنطين الأول "، وهو من أباطرة الدولة البيزنطية.

ومثَّل موقعها أهميةً استراتيجيةً كبيرةً كنقطة عبور بين قارتين هما آسيا وأوروبا؛ لذا فقد اتخذتها الدولة البيزنطية عاصمةً لها وحصنتها تحصينًا شديدًا أعجز الكثير من الفاتحين، وتحطمت على أبوابها أعتى الجيوش وأشدها، وقد كانت المكان الهام للتحركات الصليبية ضد العالم الإسلامي.

- فكيف تم فتحها إذن؟

- قبل أن أروي لك كيف فُتحت، سأصف لك أولًا حال الدولة العثمانية أثناء الفتح، فلتعلم يا ياسين إن الضعيف في ذاته لا يمكن أبدًا أن يكون قويًّا مع غيره وأن الجاهل والغير منظم لا يمكن أن ينشر العلم والنور أو يبني حضارة، والدولة العثمانية- يا بني- ظلمها المؤرخون أيُّما ظلم، فقد كان فضلها على المسلمون عظيمًا وقد قويت في حكمها الأمة الإسلامية واشتد عودها واتسعت رقعتها، فلقد حكمت (٦٣٨) عامًا تعاقب على حكمها (٣٦) سلطانًا، حازت المجد من جميع أطرافه.

فإن أردنا أن نصف جهادها فهي فيه سبَّاقة، وإذا أردنا أن نصف عمرانها وما خلفته من هندسة معمارية فهي رائعة، وهي في معاملتها لرعاياها رحيمة صهرتهم جميعًا في بوتقة الإسلام، لم تميز- في أغلب فترات حكمها- بين عربي وأعجمي كلهم مسلمون، خضعت لها رعيتها أكثر من ثلاثة قرون دون تبرم يُذكر.

أسسها عثمان بن أرطغرل ووضع دستورًا من الوصايا لأبنائه وأحفاده يسيرون عليه ـ وقد فعلوا ـ وصايا ثلاث: الحكم بما أنزل الله، والجهاد في سبيل الله، ونبذ الخلاف...، وهي وصايا

إن التزم بها أي حاكم فقد ملك أمره، فالحكم بما أنزل الله فيها العزة والمنعة والقوة، وفيها السعادة في الدنيا والآخرة، والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، وما ترك قوم الجهاد إلا ذُلوا ثم نبذ الخلاف والاتحاد والتعاون، ولا يفعل ذلك إلا مخلص متجرد لله محب لشرعه راغب في رفعة تلك الأمة.

فأي وعي كان يتمتع به ذلك الأمير! وأي إخلاص!

لقد بلغ من قوة الدولة العثمانية ومكانتها في أوروبا أن ملوك أوروبا كانوا يخاطبون سلطانها في مستهل الرسالة بمولاي وينهونها بخادمكم المطيع، فهل تتصور تلك القوة التي بلغتها الدولة العثمانية يا ياسين؟! إن تلك الدولة المظلومة تاريخيًّا- حتى في فترات ضعفها - كانت رمز عزة للمسلمين ورفعة ووحدة، ولم تتمزق الأمة وتضعف وتتشتت وتتفرق كلمتها وتكون صيد سهل للاحتلال الأوروبي إلا بعد سقوط تلك الدولة العزيزة الغالية علينا.

- وكيف كان يحكمها محمد الفاتح يا جدي قبل أن يفتح القسطنطينية؟

- مع أنك يا ياسين خالفت شروطنا في عدم المقاطعة، إلا أنني سأجيبك على سؤالك.. كما قلت لك من قبل: إن الفاشل

داخليًّا لا يمكن أبدًا أن ينجز نجاحًا خارجيًّا، وأن من خسر شعبه وظلمه وحرمه حقوقه لا يمكن أن يبني به حضارة أيًّا كان نوعها.. فلقد تولى محمد أو السلطان محمد الثاني الحكم سنة (٨٥٥ هجرية / ١٤٥١ م) وكان عمره (٢٢) سنة، ومع أنه انتهج نهج آبائه وأجداده في الفتوحات والجهاد إلا أنه اهتم اهتمامًا كبيرًا بشئون الدولة الداخلية، وتتلخص الإصلاحات التي فعلها في الآتي:

- أعاد تنظيم جميع إدارات الدولة المختلفة، فاهتم أكثر من أجداده ببناء المدارس والمعاهد وازداد عددها وانتشرت في جميع المدن الكبيرة والصغيرة، وكان يقوم بنفسه بزيارة تلك المدارس ومتابعتها ومتابعة مستوى الطلاب، وكانت الدراسة مستمرةً طوال العام، وأنشأ بجوارها مكتبةً لتيسير حصول الطلاب على المراجع، واهتم بحركة الترجمة، كذلك اهتم بحركة العمران وبناء المستشفيات المجانية، وجعل في كل مستشفى طبيبًا مختصًّا وطبيبًا للعيون وجراحًا وصيدليًّا، وكان على الطبيب أن يناظر المريض مرتين يوميًّا، أما طباخ المستشفى فكان يشترط فيه أن يكون ماهرًا وعلى علم بالطعام الذي ينفع المرضى، وجعل تلك المستشفيات مجانًا-كما قلنا - للمسلمين وغير المسلمين.

- نظَّم الأمور المالية في الدولة بحصر الموارد وطرق الصرف، ومنع مظاهر الإسراف والبذخ في الدولة، إلى جانب اهتمامه بالتجارة الخارجية والصناعة.

- وضع سجلات للجند وحصرهم وزاد مرتباتهم، ودرَّب الجيش على أحدث الأسلحة الموجودة في عصره.

ـ طور إدارة الأقاليم وعزل الولاة الضعفاء، ووضع عمالًا أخيارًا على الولايات، ودرَّب المسئولين فيها على فنون القتال مما ساعد على الاستقرار الداخلي في الدولة، ومما ساعد السلطان "محمد الفاتح" على هذه الإصلاحات خبرته الكبيرة في السياسة وأعمال الحكم التي كان يتمرس عليها في حياة أبيه، وبعد أن استقرت أمور الدولة وأجرى فيها الإصلاحات اللازمة تطلَّع إلى الفتوحات في المناطق المسيحية؛ لنشر الإسلام فيها، ومما شجَّعه على ذلك حالة الضعف الشديد الذي أصاب الإمبراطورية البيزنطية.

وقد أخبرتك أنه منذ حداثة سنَّه قد ربَّاه معلميه على حب الجهاد، وعلى أنه الأمير المعني بالحديث الشريف: «**نِعْمَ الأمير أميرها**».

وقد كان أكثر من تأثر بهم في طفولته العالم الرباني "أحمد بن إسماعيل الكوراني"، وكان الفاتح في ذلك الوقت أميرًا على بلدة " مغنيسيا " وقد ولَّاه والده عليها؛ كي تكون تدريبًا له على

الحكم والإمارة، وكان والده قد أرسل إليه عددًا من المعلمين فلم يطيعهم أو يمتثل لهم، وكان لم يتم حفظ القرآن كاملًا بعد فطلب والده معلمًا يكون قويًّا شديدًا ذا مهابة، فذكروا له "الكوراني" فطلبه معلمًا لابنه وأعطاه عصًا يضربه بها إذا خالفه، فدخل عليه العالم الجليل وفي يده العصا وقال له: إن أباك قد أرسلني إليك لأعلمك وأربيك وأضربك إذا خالفت أمري.

فضحك محمد الفاتح من ذلك الكلام فضربه الكوراني أمام الحاضرين ضربًا شديدًا ولم يأبه لأحد منهم، فخاف منه "محمد" وامتثل لأمره وأطاعه، حتى إنه ختم القرآن في مدة وجيزة.

وهنا تبرز يا ياسين أهمية دور المعلمين والعلماء في تكوين هوية الأمة، والعالم المقصود هنا هو الذي يستطيع أن يقف أمام السلطان ولا تهتز له شعرة، ويقول له في وجهه: أنت ظالم إذا ظلم، العالم الذي لا يمد يده ليقبل العطايا الدنيوية فتلجم فاه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة الحق، فيضيع الدين وتضيع الدنيا.

وتاريخنا زاخر بهؤلاء العلماء؛ لذا فقد حفظ الله هذه الأمة بعلمائها المخلصين أمثال الكوراني، واق شمس الدين، والعز بن عبد السلام وغيرهم الكثير.

فبعد استقرار دولته كان الاتجاه مباشرةً إلى ذلك الحلم

الذي راود الكثيرون من قبله، وقد ساعد "محمد الفاتح" على ذلك أنه كان نتيجة تربيته ذا شخصية إيجابية، وكان يتسم بصفات لو تجمعت لدى أي شاب لكان من الناجحين؛ وهي: أنه كان له هدف واضح ومحدد في الحياة وهو فتح القسطنطينية، واتخاذها ركيزة لفتوحاته في أوروبا كلها كما كانت معقلًا للمسيحية فلتصبح معقلًا لنشر الإسلام.

- كانت لديه إرادة قوية وهمة عالية لتحقيق ذلك الهدف.

- إنه كان واثقًا تمام الثقة في الله أنه سيوفقه، وأنه ما دام على الحق فليمضِ ويتوكل عليه - سبحانه -، فالإيمان هنا هو العامل الأساسي في إتمام أي عمل ما دام خالصًا لله.

- كان صابرًا ومصممًا على الوصول لهدفه، والصبر ليس معناه الاستكانة وإنما معناه الإعداد الجيد، فقد بدأ أولًا بتنظيم شئون دولته الداخلية حتى استقر الأمر بها، ثم انطلق من قاعدة ثابتة.

- الاستعانة بذوي الخبرة في كل مجال، ويترك لهم معظم الأمور فلا يعتمد على نفسه في تنفيذ كل صغيرة وكبيرة، وإنما شارك معه المتخصصين وكافأهم، وتلك الصفات يا ياسين لا تجتمع لدى إنسان في قضية يعمل عليها إلا وفقه الله فيها، وكان من الفائزين.

التقويم

- من هو مؤسس الدولة العثمانية؟
- مستخدمًا الحاسب الآلي.. أذكر عدة فتوحات للدولة العثمانية ودور العلماء فيها؟
- العالم الرباني الذي يؤثر في تغيير حالة الأمة.. ما هي مقوماته من وجهة نظرك؟
- هل أنت إنسان إيجابي؟ إن كنت كذلك فاذكر موقفًا يدل على إيجابيتك؟ وإن لم تكن فهل يرضيك أن تكون مسلم سلبي؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

الإعداد للفتح

أخذ "الفاتح" بكل أسباب إعداد الجيش إعدادًا جيدًا؛ ليكون من أقوى الجيوش في عصره، وكان تعداد الجيش حوالي ربع مليون مجاهد كلهم مدربون على أحدث الأسلحة، ولهم معنويات مرتفعة، ونشر العلماء بين الجنود للتحفيز بأنهم نعم الجيش كما وصفتهم بشارة النبي ﷺ، وقد كان لوجود العلماء أثر كبير في ضبط نوايا الجنود وربطها بنية الجهاد في سبيل الله.

وكانت **أولى الخطوات الحربية** هي أن يمنع أي إمدادات قد تصل من أوروبا إلى المدينة عن طريق مضيق البوسفور، فبنى قلعةً على الجانب الأوروبي، وكان السلطان" بايزيد" قد أنشأ قلعةً على الجانب الأسيوي على نفس المضيق، وفي أضيق نقطة عليه أنشأ الفاتح قلعته وأصبحت المسافة بينهما (٦٦٠ م)، ووصل ارتفاع القلعة إلى (٨٢) متر تقريبًا، وبذلك أصبح متحكمًا في أي إمدادات تصل للمدينة عن طريق البحر، وقد حاول الإمبراطور البيزنطي أن يثني "الفاتح" عن بناء تلك القلعة بشتى الطرق وحتى مقابل المال، إلا أن "الفاتح" رفض عرضه وأصرَّ على بناء القلعة وحصَّنها بالمدافع التي تستطيع أن تمنع أي

سفينة من العبور عبر المضيق إلى القسطنطينية عبر شرقها.

أما الخطوة الثانية؛ فهي جمع الأسلحة والذخائر اللازمة، وقد استعان بمهندس مجري اسمه "أوربان " ويقال: إنه كان سجينًا فحرره الفاتح من خلال شق نفق في السجن، واختطفه ووفر له كل الوسائل المتاحة، وأشرف بنفسه على عملية تصنيع مدفع عملاق سُمِّي بالمدفع السلطاني، هذا المدفع كان يزن مئات الأطنان وكان يحتاج إلى مئات الثيران القوية لتحركه.

والخطوة الثالثة اهتمامه بالأسطول خاصةً أن عملية الفتح كلها تعتمد على البحر، فعني به عنايةً خاصةً فاهتم بالحالة النفسية للجنود وتأهيلهم تأهيلًا إسلاميًّا، ثم إمدادهم بالسلاح، ثم تزويد الجيش بالسفن وقد أعد لذلك أكثر من (٤٠٠) سفينة تقوم بعملية الحصار.

- ما معنى تأهيلًا إسلاميًّا يا جدي؟

- تأهيلًا إسلاميًّا يا ياسين؛ بمعنى أنه كان يستعين بالعلماء ليعلمون الجند دينهم، ويعرفوهم فضل الجهاد في سبيل الله وفضل الشهادة في سبيله، وأن مهمة تحرير الإنسان هي أسمى مهمة عرفتها البشرية، تحرير الإنسان من عبادة غير الله ومن

المذلة لغير الله ومن الطلب من غير الله.

– وحين ذلك يا جدي، ألم يكن ممكنًا أن يتدخل أعداؤه بينما هو منشغل في ناحية القسطنطينية فيُحاصَر ويُهزَم؟

– هذه النقطة لم يتركها "الفاتح" للظروف، وإنما أمَّن نفسه جيدًا فأجرى المعاهدات مع أعدائه؛ ليتفرغ لما هو مقدم عليه، ولا يشغله عن هدفه أي طارئ، ومع ذلك فلم يصدق منهم أحد في تحالفاته مع "محمد الفاتح" وقت الحصار،

كل هؤلاء الأمراء يا ياسين نقضوا عهدهم مع محمد الفاتح وحين بدأ القتال بالفعل، أرسلوا قواتهم لتحارب إلي جانب القسطنطينية وتدافع عنها، وقد كانوا بالطبع يجاورون المدينة من ناحية الشرق، ومن السهل عليه الوصول إليها، وكذلك إمارتي البندقية والمجد وقد حاربوا جميعا ضد محمد الفاتح

ذلك ولم ييأس الإمبراطور البيزنطي في محاولاته إثناء السلطان "محمد خان" عن عزمه في الفتح، وذلك بالهدايا الثمينة ومحاولة عقد المعاهدات، وإرسال الرشاوي إلى المقربين من السلطان؛ لمحاولة إقناعه بالعدول عن عزمه..، لكنه في النهاية علم بأن السلطان " الفاتح" لن يرجعه عن هدفه شيء، وأنه ماضٍ

في خطته، فاضطر إلى أن يطلب المدد من الدول الأوروبية المختلفة.

وفي تلك الأثناء كانت الإمبراطورية البيزنطية تدين بالمذهب الأرثوذكسي، وقد اضطر أن يوحي للبابا- وهو زعيم المذهب الكاثوليكي في أوروبا- كي يطلب منه العون والمدد أن يوحي له أنه سيعمل على الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية؛ لتكون خاضعةً له، فصدَّقه البابا وأرسل وفدًا من عنده وخطب في كنيسة "آيا صوفيا" ودعا للبابا مما أغضب الجماهير بالمدينة، حتى لقد قال أحدهم: " إنني أفضل أن أرى في دياري عمائم الترك على أن أشاهد القبعة اللاتينية ".

وهذا يوضح لك شيئًا يا ياسين، أن هؤلاء القوم تفرقهم الملل والمذاهب على حين نحسبهم نحن أنهم أمة واحدة وكلمة واحدة، وهذا ما سعوا إليه أن يفعلوه بالمسلمين اليوم، أن يصيبوهم بنفس الداء الذي أصابهم من قبل، وهو أن تتفرق كلمة المسلمين ويصيبهم التعصب الأعمى لرأي أو مذهب، وتنتشر الخلافات وتتشتت البلدان، حفظ الله أمتنا من ذلك الداء اللعين الذي أصاب الأمم من قبلنا.

التقويم

- جيش كل جنوده يدينون بالإسلام وبدون تجهيز أو تدريب تقدم للقتال متوكلًا على الله.. فما رأيك بهذا الجيش؟
- الكلمة عند المسلم عهد وأمانة طالما أنه تعهَّد بها.. فما رأيك بمن يخون المعاهدات ولا أمان له في سلم ولا حرب؟ كيف يكون التصرف معه؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

المدينة المحصنة وبداية المعركة

– ما علمته يا جدي، أن المدينة من أكثر مدن العالم تحصينًا وأمانًا، والدليل على ذلك كثرة الجيوش التي حاولت فتحها وعادت دون تأثير يذكر بها، فكيف تعامل معها "الفاتح"؟

– تعتبر القسطنطينية يا ياسين شبه جزيرة، فهي محاطة بالمياه من ثلاث جهات مضيق البوسفور، وبحر مرمرة، والقرن الذهبي الذي كان محميًّا بسلسلة ضخمة جدًّا تتحكم في دخول السفن؛ أي أنها سلسلة مربوطة في طرفي المضيق وترفع لحد معين، فلا تسمح بمرور سفينة واحدة إلا إذا فُتِح لها وأرخت السلسة فتعبر السفينة، وفي هذه الحالة فكان من المستحيل على "الفاتح" أن يعبر بسفنه إلى القرن الذهبي طالما كانت تلك

السلسة موجودة، وبالطبع كان التحكم بها من داخل المدينة فكانت مهمة إدخال السفن إلى ذلك المضيق مستحيلة...

وليس هذا فقط، وإنما كانت تحيط بالمدينة من جانب البر خطين من الأسوار المحصنة، وبين السورين مسافة فضاء عرضها (٦٠) قدم، وارتفاع السور (٤٠) قدم، ويعتليها أبراج يصل ارتفاعها إلى (٦٠) قدم، ومليئة بأعداد كثيرة من الجند المدججين بالسلاح.

وبهذا الشكل فمن الناحية العملية يعتبر اقتحام القسطنطينية من أصعب العمليات إن لم يكن مستحيلًا، وكان السلطان يدرس كل تلك الظروف ويجهز الخرائط اللازمة للحصار، كما أرسل العيون " الجواسيس" لتأتيه بالأخبار، حتى أنه كان يخرج بنفسه في تلك المأموريات الاستطلاعية.

الطريق البري جهَّزه ومهَّده بين أدرنة والقسطنطينية، فالمدافع التي صُنعت كانت كبيرة الحجم، بل عملاقة وكما ذكرت لك من قبل كان فيها المدفع السلطاني الكبير الذي كان يجره مئات الثيران وحده، فكان يحتاج بدوره إلى طريق ممهد، وقد تم نقل تلك المدافع في مدة شهرين تقريبًا حتى أصبحت على مشارف القسطنطينية وذلك في يوم الخميس(٢٦ ربيع الأول

٨٥٧ هـ)، وأعد عدته للحصار البري للمدينة فجمع الجند وكان تعدادهم(٢٥٠)ألف جندي كما سبق وأشرت لك، وخطب فيهم خطبةً يحثهم فيها على الجهاد وأن تكون النية خالصةً لله وذكَّرهم بالحديث النبوي الشريف، وثناء النبي ﷺ على ذلك الجيش وأنهم هم المقصودون بهذا الحديث، وليس أمامهم إلا طريقان فإما النصر والفوز به وإما الشهادة والفوز بالجنة، وفي كلا الحالتين يكون رضا الله ﷻ، وذكرهم بأنهم الآن في أشرف موضع وهو الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله وتبليغها ورفع راية الإسلام والمسلمين، فكبر الجيش وهلل ودعا بالنصر، فاستبشر السلطان " أبو الخيرات " بمعنويات جنوده خاصةً أنه جعل بين صفوفهم العلماء يحضُّونهم على الجهاد ويذَكِّرون بفضله مما رفع معنويات الجنود أكثر وحببهم في الشهادة أو الظفر بالنصر.

ومن هنا تعلم - يا بني- أهمية الإيمان وأثره الإيجابي في إنجاح أي عمل تبتغي به رفعة دينك، فالإيمان الصحيح يعتبر مشعلًا يُضيء للإنسان طريقه ويلهب مشاعره، ويرفع عنه حب الدنيا المقيت الذي يجعله جبانًا عند لقاء العدو، فإن أردت نجاحًا فلتتصل بالله ولتجعل يقينك فيه، ولتعمل على إرضائه - سبحانه-، وعلى مر العصور نجد أن الإنسان البدائي الذي كان

لا يعلم عن الله شيئًا يبحث له عن إله يعبده، فلقد خلق الله الإنسان وجعل في فطرته أنه يحتاج إلى إله يعبده، وقد قال أحد الرحالة: " إني سافرت كثيرًا فربما وجدت بلاد كثيرة بلا جيوش ولكني لم أجد مكانًا في العالم بلا معبد ".

وقد هدانا الله- تعالى- للإسلام وهو دين الفطرة وهو خاتم الرسالات وهو الدين الصالح لكل زمان ومكان، ولم تمتد إليه يد بشر بالتزوير سواء بالزيادة أو النقصان، فهو الدين الذي تعهد الله بحفظه بنفسه حين قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. فكيف يكون تأثيره على النفوس؟ فلتتمسك به فإنه دينك، لحمك، دمك، عرضك، إياك أن تفرط فيه أو تتهاون بشأنه ففيه رفعتك وفيه عزتك إن أنت تمسكت به، وقد رأيت بنفسك كيف كانت ملوك أوروبا وأباطرتها يتعاملون مع أجدادك حين كانوا به يحكمون وعنه يدافعون، فيقول أحدهم لسلطان المسلمين: يا سيدي، وخادمك.

نعود إلى أرض المعركة مع الجند المسلمين المرابطين حول أسوار القسطنطينية..

- تصور يا جدي، إنني أتخيل نفسي الآن بينهم وأشعر أن قلبي يفور حماسة، بل إنني أريد أن أتسور تلك الأسوار العالية

وأفتح الأبواب للمسلمين كي يدخلوا فاتحين مهللين.

- إحساس رائع منك يا ياسين، سأصف لك الوضع وتخيل نفسك فعلًا بينهم وأنت تقف وتستمع إلى تعليمات القائد الأعلى للجيوش "محمد الفاتح"، وهو يوزع الجنود على الأسوار الخارجية للمدينة كي يحكم حولها الحصار البري من كل ناحية؛ كي تنقطع صلتها عن العالم الخارجي ووضع الجيوش الرئيسية في المقدمة وجعل خلفها جيوشًا احتياطية، ووزع المدافع أمام الأسوار ووضع المدفع السلطاني الكبير أمام بوابة من البوابات، ووضع في الأماكن المرتفعة فرقًا استطلاعية تراقب المدينة وتحركات الجيش بها والذي لم يكن بدوره جيش سهل كسره أو القضاء عليه، وفي نفس الوقت كانت السفن العثمانية الإسلامية راسيةً بالمحيط قريبًا من المدينة غير أنها لم تستطع العبور إلى منطقة القرن الذهبي، وإلا لتحطمت كلها بسبب السلسلة الضخمة التي تحدثنا عنها، واستطاع في تلك الأثناء أن يؤمِّن منطقة الحصار حوله بأن استولى على جزر الأمراء الموجودة في بحر مرمرة القريبة من المدينة.

- وهل كانت كل تلك الأحداث تتم دون علم الجيش البيزنطي أو دون اتخاذ إجراء مضاد من ناحيته؟

– كيف ذلك يا ياسين؟ فكما قلت لك: إن الجيش البيزنطي لم يكن جيشًا سهلًا أو ضعيفًا، فقد دافع البيزنطيون عن الأسوار بكل قوة وشراسة، ووزعوا جنودهم على الأسوار وفي كل مكان به بكثافة عالية حين أحكم الجيش العثماني قبضته على المدينة، وحدثت مواجهات عنيفة بين المرابطين المسلمين وبين المدافعين عن المدينة واستُشهد عدد كبير من الجنود المسلمين منذ أول يوم للحصار، وقد كان دور المدفعية عظيمًا بأن نشرت الرعب في قلوب البيزنطيين وهدمت بعض الأسوار إلا أن الجنود البيزنطيين كانوا يعيدون بناءها سريعًا.

وتدخلت أوروبا فأرسلت مساعدات عن طريق البحر عبارة عن خمسة سفن فيها (٧٠٠) مقاتل متطوع، وبعد مشاحنات مع الأسطول العثماني في البحر استطاعت أن تصل إلى منطقة القرن الذهبي، ودخل الجنود وعين قائدها قائدًا للقوات المدافعة عن المدينة، ولكي تعلم أنهم كانوا يحاربون باسم الصليبية فقد كان القساوسة ورجال الدين يسيرون في الشوارع كي يثبتوا الناس باسم الدين ويستعينون بالسيدة مريم والمسيح أن يخلصوا المدينة من ذلك الغزو، وأخذ الإمبراطور قسطنطين في التردد على كنيسة آيا صوفيا بنفسه للصلاة والدعاء.

التقويم

○ أيهما تفضل أن تكون فردًا في جيش قليل العدد قائده قوي وذكي؟ أم أن تكون في جيش كبير العدد وقائده ضعيف واهتماماته محدودة؟

○ ما رأيك في الإجراءات التي اتخذها الفاتح للاستعداد للمعركة هل هي كافية؟ وهل تحب أن تضيف عليها أفكارًا من عندك؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

مرحلة أخرى من العمل

أن تختطف نصرًا سريعًا أو أن يكون عدوك ضعيفًا أو أن يكون الهدف نفسه لا يستحق فكل ذلك لا يعتبر بطولة، وإنما البطولة هو أن يكون لديك هدف كبير تتعب وتشقى من أجل تحقيقه وتحارب من أجله حربًا شرسةً لا هوادة فيها، ولكن إياك أن تنسى أنك مسلم صاحب أخلاق عالية حتى وأنت تحارب ماضٍ في تحقيق هدفك دون التعدي على حقوق الآخرين، والبعض قد يقول: إذا كنتم تحافظون على حقوق الآخرين فلماذا تحاربون البلدان وتفتحونها؟ إليس هذا أخذ لحقوق الآخرين؟

والحقيقة أن لا وألف لا، إنما من حق الآخرين أن تصلهم دعوة الله وكلمة الحق، من حق كل الناس علينا أن نبلغهم بدعوة الله، والحرب إنما تكون لمن يحاول أن يمنع تلك الكلمة من الوصول وحين يتاح ذلك فنضع السلاح وتكون الكلمة هي الفيصل، نعرض ما عندنا ولكلٍّ الحق في أن يقبل فأهلًا به وله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وله أن يرفض فلا مساس به وبحقوقه وليتعبد بدينه كيفما شاء وله الحماية داخل إطار شريعة الله، واسألوا اليهود والنصارى إن شئتم، وكيف أنهم لم يشعروا بالأمان يومًا مثلما شعروا به في ظل الحكم الإسلامي على مدار التاريخ، ولكن الحسد والحقد الأعمى يأبى عليهم الاعتراف بذلك، ولكن المنصفين منهم به يعترفون ولفضل الإسلام لا يستنكرون.

المسلم يركز على هدفه ولا يثنيه عن تحقيقه أي مغريات أو أي عروض أقل مما يريد، وفي تلك الفترة من الحرب الاستنزافية بين الطرفين أظهر العثمانيون شجاعةً فائقةً وحبًّا للشهادة وإقبالًا عليها، وكذلك أظهر الجيش البيزنطي منتهى البسالة في الدفاع عن مدينته، واستطاع الجيش الإسلامي باستخدام المدافع أن يصنع ثغرةً كبيرةً في أحد جوانب سور المدينة فتدافع الجنود إليها

متـزاحمين، وكـذلك تـدافع الجنـود البيـزنطيين للـدفاع حتـى استطاعوا بشجاعة أن يردوا الجيش الإسلامي بعدما قذف الله في قلوبهم الرعب من الإسلاميين حتى حل الظلام، فاضطر السلطان "الفاتح" أن يأمر جنوده بالانسحاب، وفي نفس الوقت كانت مجموعة من السفن تحاول اختراق منطقة القرن الذهبي لكسر السلسلة والعبور، لكن القوات البحرية البيزنطية استطاعت أن تتصدى لها بقوة فانسحبت السفن هي الأخرى، وأرسل الإمبراطور قسطنطين إلى "الفاتح"؛ ليتفاوض معه بشأن المدينة، ويغريه بالعروض المالية والهدايا الثمينة بل ويعرض عليه ما يشبه الجزية، لكن "الفاتح" رفض تلك العروض وأصر على أن تفتح المدينة أبوابها وأن يستسلموا استسلامًا كاملًا، وكل فرد فيها في هذه الحالة آمن على ماله ونفسه ودينه، إن شاء البقاء في المدينة بقي سالمًا وإن لم يشأ فله الرحيل إلى أي مكان شاء دون أن يتعرض لأي أذي، فرفض الإمبراطور الاستسلام لكن المعنويات لديهم كانت قد بدأت في الاهتزاز، والخوف حين يتملك من القلوب فغالبًا تأتي معه الهزيمة.

القرن الذهبي

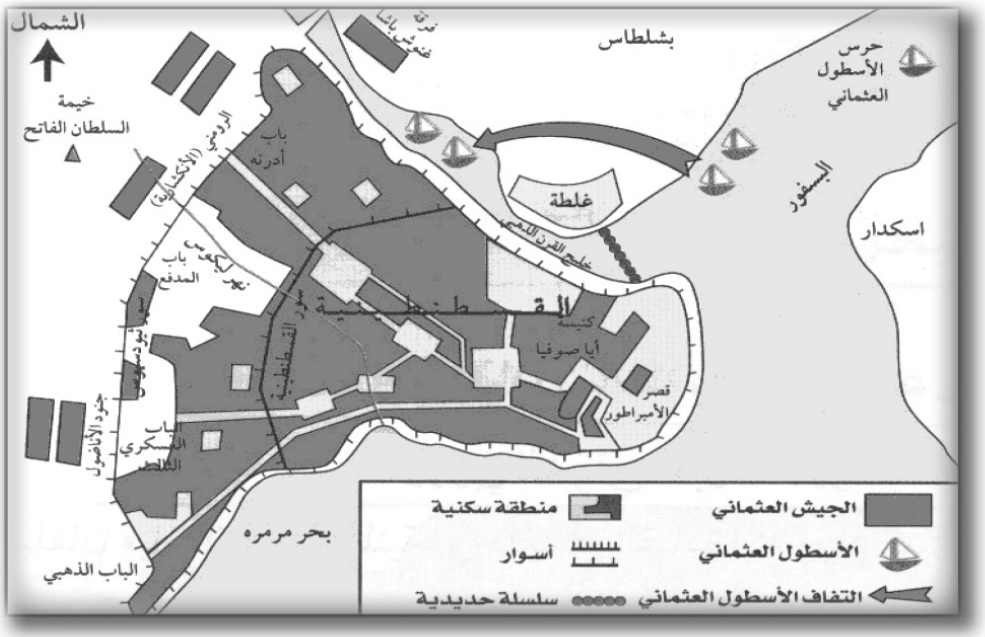

حاولت بعض الفرق الأوروبية المقاتِلة أن تلحق بالجيوش المدافعة في القسطنطينية، وبالطبع كان الحصار البري مستحكمًا فلم يكن ذلك ممكنًا عن طريق البر فأرسلوا المعونات عن طريق البحر، وتواجهت السفن الأوروبية مع العثمانية لتحاول بدورها منعها من الوصول إلى منطقة القرن الذهبي لتنضم إلى قوات الدفاع، وكانت معركة شرسة كان السلطان "الفاتح" يراقبها بنفسه من الشاطئ حتى أنه امتطى فرسه وتوغل به في البحر حتى غمرت المياه الفرس، وأخذ ينادي على قائد قواته: يا قبطان، هيا يا قبطان.

وبعد وقت ليس بقصير ومعركة ليست سهلةً على الطرفين

استطاعت السفن الأوروبية أن تدخل إلى منطقة القرن الذهبي فاستدعى السلطان "الفاتح" قائد قواته وعنفه بشدة واتهمه بالجبن، إلا أن القائد حزن حزنًا شديدًا، وقال: لأن أقتل خير لي من أن أُتهم بالجبن، وكشف عن عينه المصابة أثر المعركة فعفا عنه السلطان واكتفى بعزله وعين مكانه قائدًا آخرًا للقوات البحرية المرابطة أمام مضيق القرن الذهبي غير مستطيعة عبوره.

وفكر السلطان جديًّا في كيفية العبور إلى ذلك المضيق بعد أن طال الحصار من ناحية البر، وتركزت القوات المدافعة على الناحية البرية، فأصبح من الصعب اختراق الأسوار رغم شراسة سلاح المدفعية وإحداث فجوات فعلية في الجدي المحصنة للمدينة، إلا أنها سرعان ما تعاد كما كانت، فكان لا بد من خطة للاختراق عبر البحر خاصةً وأن الأسوار من هناك متهالكة فإذا استطاع السلطان أن يتدخل بالسفن في نفس الوقت الذي يكون فيه هجومًا بريًّا لأحدث ارتباك في صفوف الأعداء، ولاضطرت بعض القوات البيزنطية للانسحاب من موقعها للدفاع في ناحية أخرى فيختل التوازن، وفي هذه الحالة تكون الفرصة ملائمة للجيوش الإسلامية أن تدخل المدينة عبر الفتحات التي تُحدثها المدافع، وشغلت هذه الخطة السلطان إلى أن واتته فكرة عبقرية لم تخطر ببال أحد من قبل كي يعبر بسفنه عبر المضيق، وينفذ خطته الحربية الفذة....

التقويم

- أمامك كل الظروف والملابسات والتداعيات وأنت الآن قائد المعركة، فما هي الفكرة التي يمكن بها أن تعبر بسفنك إلى المضيق عبر السلسلة رغم الحراسة المشددة عليه ورغم المخاطرة الشديدة التي أقلها أن تتحطم سفنك قبل العبور؟
- الهزيمة في معركة واحدة.. هل يؤثر عليك سلبًا أم يدفعك لأن تتحدي كي تكسب الحرب؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

العبقرية الحربية المنقطعة النظير

ـ سأحكي لك الآن شيئًا يا ياسين، أقل ما يقال عنه: إنه العبقرية الحربية وقبلها هو توفيق الله لرجاله المؤمنين المهتدين، الذين يجعل لهم بإخلاصهم مخرجًا وانفراجةً من كل ضائقة، لقد طرأت للسلطان فكرة لم يفعلها أحد من قبله، فطالما أن أمر الفتح كله متوقف على عبور السفن العثمانية إلى منطقة القرن الذهبي وطالما أن ذلك مستحيلًا عن طريق البحر فليكن إذا نقلها عن طريق البر..

جمع السلطان جيشه وعرض عليهم الفكرة فتحمسوا لها وأشادوا بها، وإذا كانت البراعة في الفكرة فكان الأبرع منها التنفيذ الدقيق والسريع.

إن معنى ما يحدث هو أن تجر السفن إلى إليابسة ثم يتم سحبها مسافة ثلاثة أميال ثم ينزلونها في مياه خليج القرن الذهبي، ويبدأ الهجوم في نفس اللحظة قبل أن ينكشف الأمر وتنتبه قوات الدفاع بالمدينة فيدمرون السفن قبل الاستعداد.. إنه أمر يشبه المعجزة حقًّا، فإن الأرض التي يتم سحب السفن عليها ليست أرضًا منبسطةً وإنما هي عبارة عن سهول ومرتفعات، ومع هذا ففي وقت قليل تم إصلاح الأرض وتسويتها لسحب السفن عليها، وليس هذا فقط إنما تم إعداد ما يشبه"خط السكة الحديد" فتم عمل خطين من الخشب الثقيل الذي يتحمل السفن، وتم دهنها بالزيت ودهون الحيوانات حتى تسهل عملية السحب، وجُرت السفن فعلًا إلى إليابسة ـ مع العلم بأن كل تلك الأعمال كانت تتم ليلًا حتى لا يلحظ أحد شيئًا، وفي ليلة واحدة تم نقل أكثر من سبعين سفينة عبر الطريق الزراعي – كانت السفن تسير بين الحقول والمزروعات تجرها البغال –، وتمت عملية النقل بنجاح منقطع النظير نجاحًا أدهش الجميع عندما علموا به حتى أنه قيل: إن "محمد الفاتح" قد فاق الإسكندر الأكبر فيما فعله هذا، ولقد وصف من شاهدوا السفن وهي تسير داخل الحقول بأشرعتها على ضوء القمر أنه كان منظرًا مهيبًا عجيبًا، وفوجئ

البيزنطيون صباحًا بالسفن العثمانية داخل مياههم وفي مواجهة أسوارهم المتهالكة، والتي كانوا يعتمدون على المياه في حمايتها، وحدثت معارك ضارية على الأسوار من كل ناحية واضطرت القوات البيزنطية أن تتفرق وتنسحب من ناحية البر حتى تدافع من ناحية البحر، وانشغلوا عن القتال ببناء ما يتساقط من الأسوار وواصلوا الليل بالنهار حتى تهالكوا وتحطمت معنوياتهم عندما انتشرت النبوءات بأن المدينة ستسقط إذا سارت السفن على اليابسة، وها هي قد سارت وعبرت ووقفت في المواجهة، وقد حاول الإمبراطور البيزنطي أن يحطم السفن العثمانية التي دخلت بالفعل إلا أنه فشل وغرقت سفن كثيرة من سفنه، أما العثمانيون فقد وضعوا مدافع في الأماكن المرتفعة على مضيق البوسفور كي تدمر أي سفينة أوروبية تحاول الاقتراب إلى المضيق، مما أوقف حركة السفن المعادية تمامًا.

في نفس الوقت اجتمع الإمبراطور البيزنطي بقادته ومستشاريه كي يستشيرهم في الأمر، فأشاروا عليه أن يخرج من المدينة في جولة في أوروبا؛ ليطلب يد العون من ملوكها، إلا أنه رفض أن يخرج ويترك شعبه في ذلك الوقت وليكن مصيره هو مصيرهم، ولكنه أرسل وفودًا باسمه لتقوم بتلك المهمة، غير أن

تلك الوفود قد عادت كلها بالفشل في نفس الوقت الذي كان جهاز الاستخبارات الإسلامي يقوم بجمع المعلومات من أوروبا وإرسالها أولًا بأول إلى القيادة في أرض المعركة، فكانوا على علم بكل ما يدور من حولهم.

- مما هو واضح الآن يا جدي، إن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى من الجيش الإسلامي، فما الذي يمنع القوات الآن من اقتحام المدينة ودخولها فعلًا؟

- لا تتعجل الأمور يا بني، فلا بد من إضعاف عدوك وإضعاف معنوياته، وتحافظ في نفس الوقت على جنودك وتدخل بأقل خسائر ممكنة لجيشك خاصةً وأن السلطان "الفاتح" قد سيطر على مداخل ومخارج المدينة، وضمن السيطرة عليها فما هي إلا مسألة وقت ويتم الفتح -إن شاء الله تعالى-، فشرع "الفاتح" في نصب المدافع في الأماكن المرتفعة، وضرب الأسوار بكثافة وشدة وتعالت صيحات الجنود "الله أكبر" فنشرت الرعب في قلوب البيزنطيين، وتهدَّمت كثير من الأسوار ولم يعودوا قادرين على إعادة البناء السريع.

وابتكر العثمانيون وسائل جديدةً في بث الرعب بين صفوف العدو، وسائل لم يعرفها أحد من قبلهم ومنها أنهم حفروا بعض

الأنفاق في أماكن متفرقة من المدينة من تحت الأسوار فسمع البيزنطيون قرع الحفر ففهموا ما يحدث وأخبروا الإمبراطور بما يحدث، فحفروا أنفاقًا مقابلةً لتلك الأنفاق وعندما تواجهوا صبوا النار فوق رؤوس العثمانيين وحرقوهم وأغرقوا بعضهم، ومن قُبض عليه منهم قُطعت رأسه وأُلقيت على الجيوش العثمانية، غير أن العثمانيين رغم الخسائر البشرية التي تكبدوها لم ييأسوا وأعادوا حفر الأنفاق في أماكن أخرى حتى أن الشائعات انتشرت بين سكان المدينة بأن العثمانيون قد دخلوا بالفعل، وانتشر الرعب بين العامة وكلما رأى أحد منهم أي شخص غريب صاح: تركي، تركي..

واجتمع الإمبراطور الروماني بقادته ومستشاريه مرةً أخرى، فعرضوا عليه أن يهجموا على العثمانيين هجمةً مفاجئةً؛ كي يفتحوا ثغرةً توصلهم إلى طريقٍ يستطيعون من خلاله أن يتصلوا بالأوروبيين من جديد، ولكن في أثناء ذلك الاجتماع دخل أحد الجنود عليهم وأخبرهم أن العثمانيين قد دخلوا أحد الأحياء ويقاتلوا به، فقطع الإمبراطور الاجتماع وخرج بنفسه وتصدى للقوات الإسلامية بنفسه، وكان قتالًا عنيفًا حتى استطاع أن يصدهم في آخر الليل.

التقويم

○ الابداع والابتكار في وسائل المواجهة مع العدو من أهم أسباب النجاح والانتصار، وضح ذلك في ضوء قراءتك لخطة فتح القسطنطينية؟

○ لا توجد مهمة مستحيل، وإنما توجد نفوس ضعيفة، أكتب خمسة أسطر تشرح فيها تلك العبارة مما فهمت من فتح القسطنطينية ؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

المفاجأة

كما قلنا: إن العثمانيين في كل فترة يأتون بالجديد ويفاجئون عدوهم بشيءٍ لم يسمعوا عنه أو يرونه من قبل وأساليب لم يعتادوها، ففي هذه المرة قاموا ببناء قلعة خشبية متحركة من ثلاثة أدوار وكان ارتفاعها أعلى من ارتفاع أسوار المدينة ووضعوا حولها جلودًا مبللةً بالماء حتى لا تتعرض للاشتعال السريع، وكان الدور العلوي بها مليئًا بالجنود الرماة فاقتربت القلعة وانتقل الإمبراطور الروماني بنفسه كي يصد تلك الهجمة غير أن العثمانيين استطاعوا أن يلصقوها بالسور، وكان الرماة يقتلون كل مَنْ يطل برأسه غير أن المدافعين استطاعوا أن يلقوا عليها النيران فاحترقت وتهدمت فوق الأسوار، مما جعل السور يتحطم ووقعت على الخنادق فمات كل مَنْ كان بها من الجنود البيزنطيين،

ولم يكن تحطمها ليفت في عضد جند الإسلام وإنما وقف "محمد الفاتح" بكل ثقة وشموخ وقال: " غدًا نصنع أربعةً غيرها ".

تحطمت أجزاء كثيرة من الأسوار وتحطمت معها معنويات الجنود، حتى أنهم أصبحوا في أحاديثهم يبحثون عن طريقة للهروب والخروج من المأزق الذي هم فيه الآن، أشار المحيطون بالإمبراطور عليه أن يخرج بأي وسيلة وينجو بنفسه، فإن استطاع أن يعود بجيوش مسيحية فليفعل، فرفض الإمبراطور الخروج مرةً أخرى وأبى إلا أن يظل مع جيشه ومدينته وشعبه إلى آخر لحظة.

في ذلك الوقت خرج أهل المدينة بتمثال للسيدة مريم العذراء يجوبون به الشوارع ويهتفون، ويطلبون منها - حسب ظنهم- أن تنصرهم وتخلصهم من الحصار العثماني، وبينما هم كذلك إذ وقع منهم التمثال وتحطم فيأس الناس، وقالوا: إن السيدة مريم قد تخلت عنهم، فتأثروا بذلك تأثرًا شديدًا خاصةً أنه في تلك الليلة قد سقطت أمطار غزيرة وكانت مصحوبةً بصواعق شديدة أصابت جزءًا منها كنيسة آيا صوفيا، فخرج البطريرك يائسًا إلى الإمبراطور وقال له: إن الله قد تخلى عنا وستسقط المدينة في أيدي العثمانيين وما هي إلا مسألة وقت، فبكى الإمبراطور بكاءً شديدًا حتى أُغمي عليه.. وما عاد أمام قوات الإسلام فقط إلا أن تحدد المكان الذي ستدخل منه إلى المدينة فاتحةً على بركة الله تعالى.

التقويم

- ما رأيك في الخطة الرائعة التي وضعها الفاتح للعبور بالسفن إلى الخليج المواجه لأسوار القسطنطينية؟
- إذا وضعت خطةً أو جدولًا لعمل معين وطرأت لك مشكلات، هل أنت مستعد لتغيير خطتك أو التعديل فيها؟
- هل لديك أفكار أخرى كان يمكن أن يستخدمها "الفاتح" كوسائل سريعة للنصر؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

مفاوضات وفتح

– أظن يا جدي، بعد كل هذا الجهد دخل الجيش الإسلامي فاتحًا بسهولة؟

– أخطأ من يظن ذلك يا ياسين، إن من الأهمية أن تعرف أن البلدان التي فتحها المسلمون ابتداءً من الصحابة–رضوان الله عليهم– إلى آخر عهود الفاتحين كانت مفروشةً بدماء هؤلاء المجاهدين، وأن أرواحهم الطاهرة التي بذلوها كي يصل إلينا الإسلام ونهنأ بنوره ونعيش في كنفه لم تكن بالأمر الهين، ولم يكونوا بضعة مئات من الرجال وإنما كانوا آلافًا مؤلفةً عاشوا وماتوا من أجل التعريف بكلمة التوحيد وأن يكون الدين كله لله،

ولا تنسى أن كل هؤلاء الفاتحين كان عندهم أبناء مثلك يتمنون أن يعيشوا في أكناف آبائهم، ولكن الدين كان أغلى عندهم من الأهل والولد.

ومع أن النصر كانت بوادره قد لاحت إلا أن "الفاتح" كان يود أن يكون دخول المدينة باستسلامها حقنًا لدماء الناس، فيكفي ما أُريق من دماء؛ لذلك فقد أرسل رسالةً إلى الإمبراطور قسطنطين يعرض عليه أن يُسلِّم المدينة فيسْلَم الجميع، وأن يخرج هو وأهله جميعًا سالمين هو ومن أراد الخروج معه دون أن يتعرض لهم أحد بسوء.

وعندما وصلت الرسالة إلى الإمبراطور جمع مستشاريه وعرض عليهم الأمر فاختلفوا، فمنهم من قال بالتسليم، ومنهم من قال بالمقاومة إلى آخر لحظة، فأخذ الإمبراطور بهذا الرأي وأرسل رسالةً إلى السلطان "محمد الفاتح" بأنه سيدافع عن المدينة لآخر لحظة من حياته، فإما أن يحافظ على ملكه أو يدفن تحت رمالها، وحين قرأ السلطان الرسالة قال: غدًا سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر.

وبعد أن أيقن السلطان من أن المدينة لن تستسلم فعاد إلى جيشه يُعيد تنظيمه وتأهيله للحظات الأخيرة، وكشَّف عمل

المدافع على الأسوار حتى أن المدفع السلطاني قد انفجر واستشهد جميع العاملين عليه بمن فيهم المهندس المجري الذي صمَّمه، ومع هذا أمر الجنود بتبريد المدافع الأخرى بالزيت ويُطورا عملها بحيث يمتد القصف إلى وسط المدينة، مما أثار الذعر في قلوب سكانها وذلك إلى جانب قذفها للأسوار والقلاع.

وجمع السلطان الفاتح قادة جيشه؛ ليستشيرهم في الأمر، وكان من بين الحاضرين العالمان الجليلان "آق شمس الدين" و"الشيخ الكوراني"، وعرض عليهم كافة الحقائق وطلب مشورتهم، فأشار عليه البعض بالانسحاب لعدم إراقة المزيد من الدماء ومنهم "خليل باشا" وزيره وقد كان مُتهمًا بالتواطؤ مع البيزنطيين ليصرف عنهم الفاتحين، وهنا وقف القائد " زوغنوش باشا" وهو ألباني الأصل وكان نصرانيًّا وأسلم، وقف وقال: حاشا وكلا أيها السلطان، إننا ما أتينا هنا إلا لنموت لا لنرجع، إن خليل باشا أراد أن يقتل فيكم الحمية ويقتل فيكم الشجاعة ويرجع بكم بالهزيمة.

لقد خرج الإسكندر الأكبر من بلاده في اليونان ومرَّ بالهند واستولى على نصف آسيا بجيش أقل من جيشنا، وقد أراد "خليل باشا" أن يوهمنا بأننا عاجزون على مواجهة تلال من الحجارة، ويوهمنا بأن دول أوروبا ستتدخل وهو يعلم الخصومات التي

بينها، ولو كانوا أرادوا نصرة القسطنطينية لفعلوا منذ زمن، ولنفرض أنهم دخلوها بعد فتحها فهل سنقف أمامهم مكتوفي الأيدي؟ أم أننا لا نملك جيشًا يدافع عن كرامتنا؟

أيها السلطان، سأعلنها كلمةً صريحةً يجب أن تكون قلوبنا كالصخر ويجب أن نواصل الحرب دون ضعف أو تراجع. استراح الفاتح لهذا الرأي واستبشر به وأخذ رأي باقي القادة، فكان رأيهم نفس الرأي كذلك كان رأي العلماء، فتوكَّل الفاتح إلى الله وأخذ برأيهم.

تفقَّد الأسوار كلها ومرَّ على جنوده وذكَّرهم بفضلهم عند رسول الله ﷺ إن تم الفتح على أيديهم، وذكَّرهم بقيمة الجهاد العالية وقيمة الشهادة عند الله، ووعد أول جندي يرفع راية الإسلام فوق أسوار القسطنطينية بإقطاعيات واسعة وحوافز مادية كبيرة، كذلك فعل العلماء فمرُّوا على خيام الجنود وكانوا يتلون عليهم سورة الأنفال وآيات الجهاد والشهادة، وكان مما قاله السلطان لجنوده ليلة الفتح: "إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث رسول الله ﷺ ومعجزة من معجزاته، وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التقدير..، فأبلغوا أبناءنا العساكر فردًا فردًا أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام

قدرًا وشرفًا، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم ديننا الحنيف نصب عينيه، فلا يصدر عن واحد منهم ما ينافي هذه التعاليم، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بسوء، وليدعوا القساوسة والضعفاء الذين لا يقاتلون "، وكان لذلك أكبر الأثر في نفوس المجاهدين الذين اشتعلوا حماسةً وازدادوا رغبةً في الشهادة، وكان في أثناء الحصار اكتشف قبر "أبي أيوب الأنصاري" رضي الله عنه الذي استشهد في حصار القسطنطينية في سنة(٥٢ هـ) في خلافة "معاوية بن أبي سفيان"، فكان العلماء يقولون للجنود: إن من يستشهد يكون بجوار ذلك الصحابي الجليل الذي استضاف النبي ﷺ في بيته بعد الهجرة إلى المدينة مباشرةً، فكانوا يشعرون بفخر أنهم في نفس المكان الذي يرقد به جثمان صحابي شهيد من صحابة رسول الله ﷺ، وارتفعت المعنويات وشعر الجميع بأن رايات النصر قد لاحت في الأفق وأنه ما بقي إلا القليل، وكان السلطان قد طلب من جنوده أن يصوموا ذلك اليوم ويقوموا ليله ويبتهلوا إلى الله بالدعاء بالنصر، واختلطت أصوات العلماء بالجنود وتعالت صيحات التكبير والتهليل أثناء الليل وسُمعت الأناشيد الحماسية.

وفي الساعة الواحدة من صباح الثلاثاء (٢٠ جمادى سنة

٨٥٧هجرية الموافق ٢٩ مايو ١٤٣٥ م) كان الأمر بالهجوم الشامل على المدينة، واستيقظ أهالي القسطنطينية على تكبيرات المسلمين داخل شوارع مدينتهم، مع مقاومة شديدة وباسلة من جيشها وبقيادة الإمبراطور بنفسه، وكان الهجوم من كل ناحية في نفس التوقيت من البحر والبر.

وكان السلطان قد وضع خطةً بأن قسَّم كل الفرق إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولي تقوم بالهجوم الأولي والقصف المكثف للأسوار ثم تنسحب انسحابًا مُنظمًا، فتتقدم المجموعة الثانية أو الصف الثاني بينما تستريح المجموعة الأولى ثم تنسحب الثانية بعد وقت معين لتحل محلها المجموعة الثالثة، وهكذا على التوالي بلا انقطاع مما أدى إلى إرهاق المقاومة بالمدينة إرهاقًا شديدًا، بينما الجيش العثماني يعمل بهذا النظام الدقيق وكان القصف المدفعي مُركزًا في منطقة ما تُسمى بوادي "ليكوس" وذلك بقيادة السلطان "الفاتح" نفسه، وأظهر الجنود العثمانيون شجاعةً وبسالةً نادرةً بعد أن تقدَّم ثلاثون منهم لتسلق الأسوار وأستُشْهِد مجموعةً منهم، إلا أنهم استطاعوا أن يرفعوا الأعلام العثمانية على الأسوار ويفتحوا الأبواب للمجاهدين، وفي تلك الأثناء أصيب قائد المُدافعين "جستنيان" بجراح خطيرة

فأثَّر ذلك عند الجنود حتى أنه هرب في سفينة كي ينجو بحياته، فاضطر الإمبراطور "قسطنطين" أن يأخذ مكانه وعندما رأى الأعلام العثمانية ترفرف على الأسوار خلع ملابسه وارتدى ملابس عادية حتى لا يعرفه أحد وقاتل حتى قُتل.

ولم يأتي ظهر ذلك إليوم إلا والسلطان الفاتح على جواده في وسط المدينة فذهب إلى كنيسة آيا صوفيا وكان البطريرك قد اجتمع فيها مع مجموعة كبيرة من السكان يصلون ويبتهلون أن ينقذهم الله، فدخل عليهم الفاتح وسط جنوده فذعر الناس واختفى القساوسة داخل سراديب بالكنيسة، إلا أن القائد "الفاتح" أمَّنهم جميعًا وطلب من البطريرك أن يؤمِّن الناس وأن يذهبوا إلى بيوتهم بلا خوف حتى القساوسة فلا خوف عليهم ولهم حرية العبادة ولكن عليهم الجزية، وبعد ذلك دخل قصر الإمبراطور فكبر المسلمون وهللوا وسجد السلطان لله شكرًا بعد أن حمد الله، وقال: " الحمد لله، ليرحم الله الشهداء ويمنح المجاهدين الشرف والمجد ولشعبي الفخر والشكر ".

- شيء رائع يا جدي، إن أعظم اللحظات هي لحظات النصر خاصةً إن أتى بعد كل هذا التعب والكفاح، ولكن يا جدي، كيف تعامل السلطان "محمد الفاتح" مع أهل القسطنطينية بعد ذلك؟ وهل أسلموا بعد الفتح؟

- لقد تعامل معهم "الفاتح" بمنتهى الرحمة والتسامح مع الجميع، وأسلم مجموعة كبيرة من القساوسة حين رأوا عدل "الفاتح" وتعامله معهم وهو المنتصر وهم من كانوا يقاومونه، ولكنه حول كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد كبير وأقام فيه الصلاة في نفس اليوم الذي دخله؛ وذلك لأن المدينة لم تستسلم وإنما فتحها في الحرب وذلك حقه، لكنه أعطى للنصارى حرية العبادة في كنائسهم وجعل لكل طائفة دينية رئيسًا يخضع له مباشرةً، وطلب منهم أن ينتخبوا بطريركًا جديدًا فاختاروا "أجناديوس" وذهب إلى مقابلة السلطان في قصره فقابله الفاتح بحفاوة شديدة وتحدث معه طويلًا، فخرج البطريرك من عنده مبهورًا بشخصيته مبهورًا بالتسامح الذي أظهره معهم، ولم تمر سوى بعض الأيام القليلة حتى عاد الناس كلهم إلى حياتهم الطبيعية وأعمالهم دون خوف على نفس أو دين.

غيَّر السلطان الفاتح اسم المدينة إلى " إسلام بول "؛ أي: مدينة الإسلام، واتخذها عاصمةً للدولة العثمانية وأعاد تحصينها والاهتمام بها، ووسع حركة العمران حتى عادت كما كانت بل ربما أفضل بكثير.

التقويم

- ما رأيك بمن يقول: إن فتح القسطنطينية تم بسبب ضعف الدولة البيزنطية لا بسبب قوة المسلمين وحُسن تخطيطهم؟
- هل تعتقد أن فتح القسطنطينية كان بالأهمية بحيث يتم فيه بذل كل المجهود الذي بذله "الفاتح" وكل الدماء التي أريقت دونه؟
- بماذا ترد على الذين يقولون بأن "محمد الفاتح" أساء معاملة أهل المدينة بعد فتحها؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

وماذا بعد الفتح

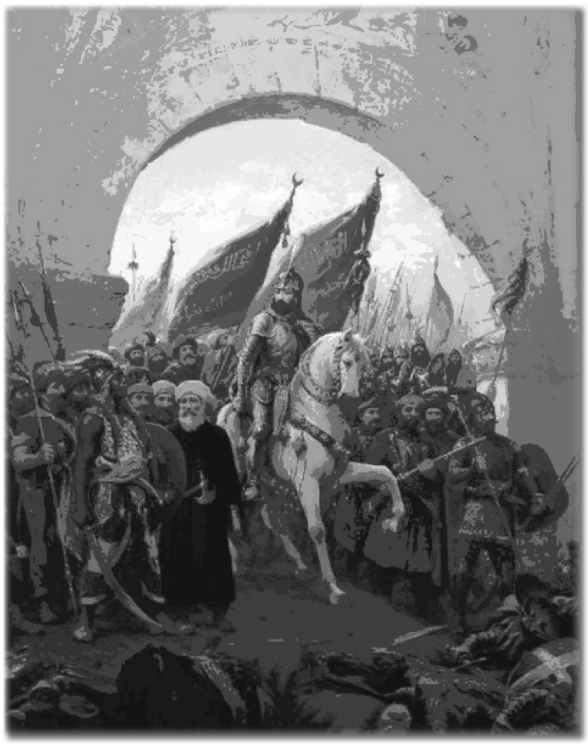

جلس ياسين مع جده في الشرفة بعد الغداء يستمتعون بهواء البحر المنعش وهما يحتسيان الشاي، ويتبادلان أطراف الحديث وبينما هم كذلك؛ إذ دق جرس الباب وكانت المفاجأة ضوضاء كثيرة عند الباب وأصوات عالية يميزها ياسين جيدًا، لقد كان صوت أخته الصغيرة نوران التي تصغره بثلاث سنوات فهبَّ ياسين واقفًا وكذلك الجد، وذهبوا ليستقبلوا من بالباب فإذا بأسرة ياسين كاملة قد حضرت دون اتصال حتى تكون مفاجأةً لهم، استقبلهم الجد والجدة بترحاب شديد وكذلك ياسين الذي تعوَّد مع أخته على المشاكسة والشجار المستمر، لكنه فرح بها أيما فرح رغم ما يحدث بينهما من مشادات كثيرة.

أحضر الأب هديةً معه لياسين؛ لنجاحه، كذلك الأم فعلت بينما اندفعت نوران لتخطف الهدية من والدها وهو يقدمها لياسين، وجرت إلى حضن جدتها محاولةً أن تخفي الهدية معها لكن ياسين لاحقها واختطفها منها في جو أسري رائع، وقد كانت الهدية عبارة عن مجموعة من الاسطوانات بها القصص والألعاب التي يحبها ياسين، فتقبلها وشكر والده عليها، أما هدية والدته فكانت عبارة عن مجموعة كتب قيمة عن الفتوحات الإسلامية، وهنا نظر ياسين إلى جده وابتسم واحتضن والدته وقبَّلها وكانت جلسة رغم الضوضاء التي أحدثتها نوران مع ياسين هادئة دافئة.

في المساء التفَّت العائلة حول مائدة العشاء كلٌّ منهم يروي للآخر كيف كانت الأيام الماضية من دون الطرف الآخر، وتلاحقت الكلمات من ياسين لوالديه يروي لهما كيف قضى أيامه تلك، بينما لاحظ الأب التغير الشديد في لهجة ياسين وفي اتجاهه أيضًا وكأنه قد كبر ونضج بضع سنوات.

بعد العشاء كان هناك اقتراحًا بالخروج معًا للتنزه بالقلعة مثلًا، فالمكان هناك بالليل ساحر وجميل جدًّا، أو بالمنتزه بينما اقترحت نوران أن يكون الخروج إلى الملاهي؛ فهي لم تخرج ولم تلعب منذ سافر ياسين إلى جديه، بينما كان اقتراح ياسين أن

تكون تلك الليلة مميزةً بأن يجتمع الجميع بالبيت ليكملوا معًا قصة "محمد الفاتح" الذي أتم فتح القسطنطينية بالأمس فقط، فقد كان في شوقٍ ليعرف ماذا حدث بعد ذلك؟ وكان في شوق أكثر أن يكون والده معه في تلك المناقشات يشاركه اهتمامه الجديد، ويرى كيف يتناقش هو مع جده ويعرف أنه ما عاد صغيرًا، فوافق الأب حين رأى الرغبة الشديدة في لهجة ياسين كذلك الأم بينما من اعترض كانت نوران، فوعدوها أن تكون النزهة غدًا؛ حيث المكان الذي تحدده هي على أن يكون اليوم مع ياسين، حيث الفتح والفاتحين والمنصورين بإذن الله مع "محمد الفاتح".

بدأ الجد الحديث وقال:

- ذكرني يا ياسين أين انتهينا بالأمس يا بني؟

- انتهينا يا جدي بعد دخول الفاتح إلى القسطنطينية، وانتصاره الساحق ودخوله إلى قصر الإمبراطور ودخوله كنيسة آيا صوفيا وتحويلها إلى مسجد، ثم معاملته لأهل المدينة والقساوسة وكيف أنه تعامل معهم برحمة وتسامح أدهش الجميع.

- بقى أن أحكي لك يا ياسين قبل أن تنتهي مسألة الفتح هذه دور العلماء والشيوخ الأجلَّاء في هذا الفتح.. إن الإيمان

الصادق- يا ولدي- إذا ملأ القلوب يمكن أن يصنع الإنسان به المعجزات، لكن إذا فرغ منه القلب فإن الإنسان يكون كالضائع لا هوية له ولا هدف، وإنما هو كالريشة في مهب الريح ولقد كان للعلماء دور كبير في تثبيت ذلك الإيمان عند "الفاتح" وعند كل الفاتحين من قبله، فعلى سبيل المثال هذا الشيخ الفاضل "آق شمس الدين" الذي كان من المتولين تربية "محمد الفاتح" منذ صغره فهو الذي ألقى في حسه أنه المقصود من الحديث الشريف: «**لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش**». فتربى "الفاتح" على ذلك حتى أنه أصبح لديه يقينا بأنه هو الفاتح، وظلَّ الشيخ وراءه يوجهه ويدفعه حتى وهو في أرض المعركة لم يتركه لحظةً لمدة (٥٤) يوم إلا في وقت واحد حين ازدادت الشدة وكان الأمر بالهجوم الأخير، فقد دخل الشيخ خيمته وأمر الجنود ألا يُدخِلوا عليه أحدًا فذهب إليه "الفاتح" في الخيمة فلم يأذن له الجنود ومنعوه، فأخرج خنجره ومزق جانب الخيمة فوجد الشيخ يقوم من سجوده باكيًا يدعو ويبتهل لله أن يعجل بنصره، فخرج "الفاتح" مطمئنًا وفرح وقال: "إن فرحي ليس لفتح المدينة، وإنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زماني".

وبعد الفتح كان الشيخ أول من ألقى خطبة الجمعة في مسجد آيا صوفيا، ورغم كبر السلطان "الفاتح" وتعدد فتوحاته واتساع رقعة بلاده إلا أن الشيخ ظل بجواره موجهًا ناصحًا، ويستشيره "الفاتح" في كل أمره مقدرًا له ويجلّه، وكان يقبل يده كلما دخل عليه... أرأيت يا ياسين، كيف احترام كل ذي علم وتقديره؟

- نعم يا جدي، ولكن هل انتهى الأمر بالفاتح عند هذا الحد؟

- سأدع الرد لوالدك يا ياسين؛ كي يخبرنا ماذا حدث بعد فتح القسطنطينية؟

- اعتدل والد ياسين في جلسته وقال: مع أنني لم أكن معكم من البداية إلا أنني سأبدأ من حيث انتهيتم، إن القسطنطينية كانت هي البوابة الرئيسية لأوروبا المسيحية، وهي التي كانت عقبةً كبيرةً في وجه الفتوحات الإسلامية في تلك البلدان، وحين تم الفتح تأثر أهل الغرب تأثرًا شديدًا خاصةً البابا "نيقولا الخامس" الذي حاول أن يلملم الصفوف ويوحدها باسم الصليب على الدولة الإسلامية الناشئة، وحاول أن يزيل الخلافات بين الطوائف المختلفة، ويؤجج نار الصليبية والغيرة الدينية في صدور

الملوك والشعوب الأوروبية حتى أعلنوا عن تجهيز حملة صليبية على "الفاتح"، لكن الله ﷻ لم يمهلهم فقد مات البابا فجأةً؛ بسبب حزنه وهمه منذ سمع أنباء الفتح وتحمَّس بعض الأمراء للفكرة، لكن الخلافات الشديدة بين الطوائف هناك والمشاكل الداخلية لم تسمح لهم بذلك،.

حاول البابا "بيوس الثاني" أن يعرض المسيحية على الأتراك وعلى السلطان "محمد الفاتح" ويعده بأنه سيمنحه بركته وإخلاصه، ويمنحه صك لدخول الجنة به، وكأن الجنة في أيديهم، وحاول أن يهدده أيضًا بشن هجوم كبير عليه إلا أنه قد باء بالفشل في المحاولتين، بينما ردَّ "الفاتح" ردًّا عمليًّا بأن هزم الجيوش الصليبية شر هزيمة، وقضى على الحملة التي قادها "هونياد" المجري لهذا الأمر، في نفس الوقت كان أثر الفتح عظيمًا على المسلمين في كل البلاد العربية، فقد أُقيمت الزينات وأقيمت الاحتفالات الرسمية لمدة ثلاثة أيام ابتهج فيها الناس، وقد أرسل الفاتح إلى الأمراء والملوك المسلمين هدايا من غنائم القسطنطينية، ومن هؤلاء سلطان مصر وشاه إيران وحاكم الهند، حتى جيرانه من الممالك الأوروبية التي تعاهدت معه أرسل

إليهم بأنباء النصر العظيم وقد اضطروا أن يظهروا له السرور والبهجة وأرسلوا له التهاني.

– جاء الدور لي أن أسألك يا ياسين، وكذلك أنتِ يا نوران.

– اسأل يا جدي، وأنا سأجيبك إن شاء الله.

– لماذا ترد وحدك يا ياسين؟! إن كلام جدِّي موجهًا لي ولك وليس لك وحدك،ثم توجهت نوران بوجهها لجدها، وقالت: نعم يا جدي، اسأل وأنا سأجيبك.

– كظم ياسين غيظه ولم يرد على أخته، وترك الحديث لجده يقول وهو يبتسم من فعل أحفاده:

– إذا سألتكم عن صفات "محمد الفاتح" التي أهلته لفتح القسطنطينية، فماذا تقولان؟

– أسرعت نوران بالإجابة، وقالت: الإيمان يا جدي، إنه كان مؤمنًا تقيًّا ولذلك وفقه الله.

ضحك الجميع، وقال الوالد:

– أحسنت يا نوران، يمكن أن نعتبرها نقطةً وتشمل كثيرًا من المعاني ففيها الإخلاص لله في نيته وجهاده، وأن تفكيره كله

منحصر في عملية الفتح ونشر دعوة الله، ورفع راية الحق عالية في كل ربوع الدنيا.

ثم قال ياسين: نشأته يا جدي، فقد تلقى العلم الذي يؤهله لذلك من تعلمه للغات ثم العلوم الشرعية، ووجود العلماء الذين يوجهونه تلك الوجهة.

فقال الأب:

- أحسنت كذلك يا ياسين، إذن فنوعية العلم تؤثر في شخصية الإنسان واتجاهه.

وشاركت الأم في الحوار وقالت:

- أعتقد أنه كان شجاعًا جدًّا وجريئًا بحيث يخوض تلك المعارك الكثيرة دون جبن أو خوف، وفي بلاد بعيدة عن بلاده ورغم صعوبة الظروف في أحيان كثيرة إلا أنه بشجاعته وأيضًا بإصراره على الوصول لهدفه، استطاع أن يستمر في فتوحاته ونجاحاته.

فقال الجد: نعم يا أم ياسين، بارك الله فيكم، الشجاعة والإصرار للوصول للهدف فالأعمار يملكها الله وحده، وإذا فشل الإنسان في شيء فليس معناه أنه إنسان فاشل وإنما عليه أن يحاول ويحاول حتى يصل إلى ما يريد.

ثم أخيرًا شاركت الجدة التي أمتعها الحديث وقالت: ظني أنه كان عادلًا -يا أبنائي-، فما أعلمه أن الله يساعد الحاكم العادل حتى لو كان كافرًا، فما بالكم لو كان مجاهدًا في سبيل الله؟! صفق الجميع للجدة، وقال ياسين: أحسنتِ يا جدتي، ولكِ مني هدية. فوقف وقبَّل جدته بينما جرت نوران إليها واحتضنتها غيرةً من ياسين، وضحك الجميع من أفعال الأخوين معًا.

التقويم

- ما هي من وجهة نظرك الصفات التي تؤهل الشاب لأن يكون قائدًا ناجحًا؟
- مُستخدمًا الحاسب الآلي اكتب بحثًا توضح فيه أهمية دور العلماء على مدى التاريخ الإسلامي؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

الناصر صلاح الدين محرر القدس

سرعان ما تمر الأيام الجميلة فقد انقضت فترة الإجازة التي قضاها ياسين عند جده في مرح وسعادة، وكانت فترة على قصرها إلا أنها مثَّلت نقطةً تحول في حياة ياسين وتفكيره وميوله، ويبدو أنها قد أضافت إلى عمره بعض السنوات، ولم لا؟ فهذه أول فائدة من فوائد القراءة والاطلاع، فكما قيل من قبل: إن القراءة تضيف إلى الإنسان أعمار الكتاب وتجاربهم، فأنت حين تقرأ عن فترة تاريخية معينة فأنت قد أضفت إلى معارفك وتجاربك الحياة في تلك الفترة؛ أي: كأنك عشت فيها، وبهذا تكون قد عشت حياةً أخرى غير حياتك، وهكذا إذا تعددت قراءاتك فبقدر ما تقرأ بقدر ما تضيف لنفسك.

ويبدو أن والد ياسين ووالدته قد لاحظا عليه ذلك التغيير من لهجته الناضجة بعض الشيء، ومن أسلوبه في الحديث الذي أصبح أكثر تهذيبًا ولطفًا.

أما ياسين نفسه فقد قرر أن يفاجئ الجميع بشخصيته الجديدة، إنه لم يصبح ذلك الطفل المشاكس الذي كان يشتكي منه القريب والبعيد وإنما أصبح شخصيةً لها هدف في الحياة، صحيح أنه لم يتبلور بعد إلا أنه قد حددت معالمه تقريبًا، فقد قرر أن يكون شيئًا كبيرًا مثل "محمد الفاتح" أو "عمر بن عبد العزيز" أو "صلاح الدين الأيوبي"، وربما يكون عالمًا من العلماء مثل "الحسن بن الهيثم"، فليس مهمًّا المجال الذي سيختاره الآن بل المهم أن يكون مميزًا ومتفوقًا فيما سيختار، وبرغم عودته إلى بيته إلا أنه قرر أن يستمر فيما بدأه معه جده في موضوع القراءة والاطلاع، ولكن عليه الآن أن يعتمد على نفسه في البحث عمَّا سيقرأه في الفترة المُقبلة قبل أن تبدأ الدراسة خاصةً وأنه مقبل على مرحلة جديدة من التعليم، وهي مرحلة الثانوية العامة؛ أي: أنه يجب أن يجتهد فيها ويتفوق إن أراد أن يحقق أمنياته، وفي نفس الوقت عليه أن يقدم لجده الحبيب مفاجأةً ترضيه وتسعده بحفيده ياسين الذي بذل معه الكثير من الجهد، وأعطاه من الاهتمام والصداقة ما أسعد ياسين وملأ عليه وقته في فترة إجازته، فقرر أن يبحث جيدًا عن موضوع يركز في قراءته في الفترة القصيرة المقبلة، ويكتبه على هيئة بحث شامل وما استفاده منه، ثم يقدمه إلى جده ليقيِّمه.

القدس... الوطن المفقود

خريطة فلسطين الحبيبة يحيط بها ما يسمى بدول الطوق؛ أي: الدول التي تطوق فلسطين أو تحيط بها وهي: مصر – سوريا – الأردن – لبنان.

وتوضح الخريطة موقع مدينة القدس في قلب فلسطين، وتبعد القدس عن البحر الميت (٢٢) كم و (٥٢) كم من البحر المتوسط،

و (٢٥٠) كم من البحر الأحمر، وهي العاصمة الأبدية لدولة فلسطين المحتلة، واحتار ياسين كثيرًا ولاحظ عليه والده تلك الحيرة، فطلب من ياسين أن يرافقه للتريض قليلًا خارج البيت فوافق ياسين على الفور، وفي أثناء سيرهما سأل الأب ياسين قائلًا:

- ألاحظ يا ياسين أنك مشغول الذهن هذه الأيام، فأنت قليل الكلام قليل المشاكسة على غير عادتك قليل اللعب مع أختك، ثم أنك حتى أثناء تناول الطعام ألاحظ أنك شارد الذهن، فما الذي حلَّ بك؟

- لا شيء يا أبي.

- لا شيء؟ تريد أن تقول أن ما يحدث هو طبيعتك؟ وكأننا لم نعرفك من قبل، ثم إن لم تقل لي فلمن ستقول؟ أم أنك لا تثق في قدرات والدك على حل المشكلات؟ وابتسم الوالد في حنان وهو ينظر إلى ابنه الحائر.

- ابتسم ياسين ابتسامة ارتياح لكلمات والده، وقرر أن يبوح لوالده بحيرته وما يدور بخلده، فقرر الوالد أن يصطحبه إلى مكتبة من المكتبات العامة المنتشرة في أحياء القاهرة؛ كي يبحثا معًا عما يريده ياسين.

وبين الأرفف غاب ياسين بين طيات الكتب باحثًا هنا وهناك، لكنه لم يغب عن ناظري والده الذي أخذ يراقبه في إعجاب وحب إلى أن جمع ياسين بعض الكتب، ولاحظ والده أنه يريد إخفاؤها عنه، فاحترم رغبته وحملا الكتب معًا ثم عادا إلى البيت...

بعد عدة أيام فوجئ الوالد بياسين بعد العشاء يحضر له عدة أوراق مكتوبة بخط يده ويطلب منه أن يقرأها عليه ويناقشه فيها، فطلب الوالد كوبين من الشاي له وليا‌سين؛ كي يستطيعا التركيز فيما هو مكتوب، وبدأ القراءة باهتمام تحت عنوان: "فضل المسجد الأقصى".

المسجد الأقصى هو واحد من أكثر المعالم الإسلامية قدسيةً عند المسلمين؛ فهو أولى القبلتين و ثالث الحرمين، ذكر القرآن عنه في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

يقع المسجد الأقصى في الحرم القدسي داخل البلدة القديمة لمدينة القدس في فلسطين.

روى البخاري - رحمه الله ورضي عنه - في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعين سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة فصلِّ، فإن الفضل فيه**».

روى الحافظ في كتابه المستقصى بسند من أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**المسجد الحرام**».

قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعين سنة**». ثم قال: زاد الفرا: «**أينما أدركتك الصلاة فصلِّ، فهو مسجد**».

ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن آدم عليه السلام أول من أسس وصلى فيه وطاف.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما بنى سليمان بيت المقدس سأل ربه ثلاثًا فأعطاه اثنتين، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه، سأله حكمًا يوافق حكمه، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأعطاه ذلك، وسأله أن لا يأتي أحد هذا**

البيت يصلي فيه لرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك».

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، كيف أُسري بك؟ قال: (صليت بأصحابي صلاة الغمة بمكة معتمًا، فأتاني جبريل عليه السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل، فقال: اركب، فاستصحبني على فقادها بأذنها وحملني عليها ثم انطلقت تهوي، يقع حافرها حيث أدرك طوقها حتى بلغنا أرضًا ذات نخل فأنزلني، فقال: صلِّ.

فصليت ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: لا أعلم.

قال: صليت بيثرب، صليت بطيبة.

قال: فانطلقت تهوي يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضًا فقال: أنزل فصلِّ.

فنزلت ثم قال: فصلِّ فصليت، ثم قال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم.

قال: صليت بمدين صليت عند شجرة موسى عليه السلام، ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضًا بدت لنا قصورها فقال: أنزل.

فنزلت، فقال: صلِّ.

فصليت ثم ركبنا فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم. قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى المسيح ابن مريم - عليه الصلاة والسلام -، ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأنا قبلة المسجد فربط دابته فيه، ثم دخلنا المسجد من باب فيه تمثيل الشمس والقمر فصليت في المسجد حيث شاء الله تعالى، وأخذ مني العطش أشد ما أخذني، فأوتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر أرسل إلى بهما جميعًا فعدلت بينهما، ثم هداني الله ﷻ فأخذت اللبن فشربت منه حتى عرفت به جيئتي وبين يدي شيخ شكى على مثران له، فقال: أخذ صاحبك الفطرة ليهدي، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي فيه المدينة، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي).

قال: قلت: يا رسول الله، كيف؟ قال: مثل الحمة السخنة، ثم انصرف بي فمررنا بعيرٍ لقريش بمكان كذا قد أحلوا بعيرًا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد ﷺ، ثم أتيت أصحابي قبلة الصبح، فأتاني أبو بكر فقال: أين كنت الليلة فقد التمستك في مضانك؟

فقال: أعلم أني أتيت المقدس الليلة.

فقال: يا رسول الله، أنه سبين، فصفه لي.

قال: ففتح لي صراط كأني أنظر إليه لا تسألني عن شيء إلا أنبئه به.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أشهد أنك رسول الله. فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس الليلة. قال: فقال: إني سرابه ما أقول لكم أني مررت بعيرٍ لكم في مكان كذا وكذا، وقد أضلوا بعيرًا فجمعه فلان، وإن مسيرهم بكذا ثم كذا ولاقوكم بكذا يقدمهم جمل أدم عليه مسخ أسود وغدارتان سوداوتان.

فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ. "كذا رأيته في رواية البيهقي".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلواته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلواته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلواته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلواته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة**».

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاةٌ في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في المسجد الأقصى بعشرين ألف صلاة»**.

وعن مكحول رضي الله عنه قال: (من خرج إلى بيت المقدس لغير حاجة إلى الصلاة فيصلي فيه خمس صلوات صبحًا وظهرًا وعصرًا ومغربًا وعشاءً ثم يصلي الغداة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

وعن مكحول أيضًا رضي الله عنه قال: (من زار بيت المقدس شوقًا إليه دخل الجنة مدللًا، ورفادة جميع الأنبياء في الجنة وهبطوه بمنزلته عند الله عز وجل، وإنما رفقة خرجوا يريدون بيت المقدس شيَّعهم عشرة آلاف ملك يستغفرون لهم ويصلون عليهم، ولهم بكل يوم يقيمون فيه صلاة بسبعين ملك، ومن دخل بيت المقدس طاهرًا من الكبائر تلقاه بمائة رحمة ما بها رحمة إلا لو قسمت على جميع الخلائق لوسعتهم، ومن صلى في بيت المقدس ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكان له بكل شعره في جسده حسنة، ومن صلى في بيت المقدس أربع ركعات مرَّ على الصراط كالبرق الخاطف وأعطى أمانًا من الفزع الأكبر يوم القيامة، ومن صلى في بيت المقدس ست ركعات أعطى مائة دعوة مستجابة أدناها براءة من النار ووجبت له الجنة، ومن صلى في بيت المقدس ثمان ركعات

كان رفيق إبراهيم الخليل ﷺ، ومن استغفر للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات كان له مثل حسناتهم ودخل على كل مؤمن ومؤمنة سبعون مغفرة ذنوبهم كلها).

وعن سفيان الثوري أنه سأله رجل بمكة فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في الصلاة في هذه البلدة؟

قال: بمائة ألف صلاة.

قال: وفي مسجد رسول الله ﷺ؟

قال: بخمسين ألف صلاة، قال: وفي بيت المقدس؟

قال: بأربعين ألف صلاة، قال: وفي دمشق؟ قال: بثلاثين ألف صلاة.

ويعتبر المسجد الأقصى هو المسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال، فقد ذكر النبي أن المساجد الثلاثة الوحيدة التي تشد إليها الرحال هي: المسجد الحرام، و المسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**».

ورُوي عن أم المؤمنين أم سلمة أنها سمعت رسول الله يقول: «**منْ أَهَلَّ بِحَجَّة أَوْ عُمْرَة من المسجد الأقصى إِلى المسجد الحرام غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**» [سنن أبي داود].

وللصلاة في المسجد الأقصى ثواب يعادل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد، قال: «**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة**».

وهو المسجد الذي أمر النبي الصحابة بالبقاء قربه، روى أحمد في مسنده عن ذِي الأَصَابِعِ قَال: قلت: يا رسول الله، إِنِ ابْتُلِينَا بعدك، بالبقاء أين تأمرنا؟

قال: «**عليك ببيت المقدس فلعله أن ينشأ لك ذرية يعدون إلى ذلك المسجد ويروحون**».

فهذه الأحاديث كلها تدل على مكانة المسجد وعمق علاقته بالإسلام، وهناك العديد من الأحاديث الأخرى التي ذكرت المسجد الأقصى وحثت على زيارته والصلاة فيه.

تابع الوالد القراءة بينما تحشرج صوته بالبكاء وانهمرت الدموع من عينيه وهو ينظر إلى ياسين، ثم توجه إليه بالسؤال بكل الحب والتأثر:

- ما الذي دفعك يا بني للكتابة والبحث في هذا الموضوع؟

تعجَّب ياسين من نبرة والده وظنَّ أنه يستنكر عليه اختياره فقال له:

- ولِمَ يا أبي؟ هل هناك خطأ ما وقعت فيه دون أن أدري؟ ألا يجب أن أبحث عن هذا؟

- فأشاح الوالد بيده، وقال: لا يا بني، على العكس تمامًا، بل إنك وُفقت تمام التوفيق في اختيارك، ولكنك يا ولدي قد وضعت يدك على جرح نازف، إن الأقصى- يا بني- هو جرح المسلمين المفتوح الذي يُذكِّرنا كل يوم بالضعف والهوان وضيق ذات اليد وقلة الحيلة.

- وذلك يا أبي ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع، لقد استمعت كثيرًا في نشرات الأخبار والصحف وعلى صفحات النت عما يفعله الأطفال في فلسطين، كذلك النساء إلى جانب الرجال، وما يقدمه هذا الشعب من تضحيات عجيبة كل يوم وذلك منذ سنوات طوال، فما أصبرهم على ذلك؟ ولأي قضية يعملون؟ وماذا يريدون؟ وذلك مما دفعني للبحث والقراءة عن المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية هناك، وعن فاتحها ومحررها، وعن الظروف والملابسات التي يعيشونها اليوم وما

الذي يحدث هناك، وأصدقك الله يا أبي، أنني قرأت الكثير ومع هذا أشعر وكأنني ما زلت في متاهة وعلمي قليل بالنسبة للأحداث الطويلة التي مرت بها تلك البلاد التي لا يفصلنا عنها حد سوى ما وضعه العدو الصهيوني.

- بارك الله فيك يا بني، وأشكرك وأحييك أن اخترت الحديث عن المسجد الأقصى ذلك المسجد العزيز الغالي الذي هو لنا مثل المسجد الحرام والمسجد النبوي، والذي هو حق لجميع المسلمين في العالم بل حق لكل الأديان وليس من حق الفلسطينيين وحدهم، وواجب الدفاع عنه ليس مفروضًا على الفلسطينيين وحدهم، ولكن ماذا نفعل وقد أُغلقت الحدود؟ وأصبح قدر هذا الشعب المجاهد أن يقف وحده كحائط صدٍّ أول مدافعًا عن المقدسات، وأنت تسمع كل يوم عن المذابح الدموية التي تحدث لهم.

- حقًّا يا أبي، إنني أعجب! كيف لهم الصمود كل هذه السنوات؟ ما الذي يجعلهم متمسكين بهذا الحق تلك المدة الطويلة؟

- إنه المسجد الأقصى يا ياسين، الذي له قدسية كبيرة عند المسلمين ارتبطت بعقيدتهم منذ بداية الدعوة، فهو يعتبر قبلة

الأنبياء جميعـًا قبل النبي محمد ﷺ، وهو القبلة الأولى التي صلى إليها النبي قبل أن يتم تغيير القبلة إلى مكة.

إن من دخل الأقصى فأدى الصلاة، سواء تحت شجرة من أشجاره، أو قبة من قبابه، أو فوق مصطبة، أو عند رواق، أو في داخل قبة الصخرة، أو الجامع القبلي، فصلاته مضاعفة الأجر. عن أبي ذر قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل؟ أمسجد رسول الله أَم بيت المقدس؟ فقال رسول الله: «**صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا**».

قال: أو قال: «**خير له من الدنيا وما فيها**».

[أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي]

وقد توثقت علاقة الإسلام بالمسجد الأقصى ليلة الإسراء والمعراج؛ حيث أُسري بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وفيه صلى النبي إمامًا بالأنبياء، ومنه عرج النبي- عليه الصلاة والسلام- لذا فلا يملك أحد حق التفريط فيه؛ لأنه ليس ملكًا لأحد بعينه، وليس ملكًا لشعب بعينه كما قلت لك، إنها

الأرض المقدسة التي لو استطاع أي مسلم لو يرويها بدمائه لفعل مثلما فعل الأجداد.

وهناك مقبرة "مأمن الله" التي ستبقى شاهدةً على التاريخ الحر لتلك المدينة المقدسة بالعدد الهائل للشهداء والعلماء الذين دفنوا بها، وتقع مقبرة "مأمن الله" والتي يسميها البعض مأملًا ؛ بمعنى: ماء من الله أو بركة من الله، غربي مدينة القدس القديمة وعلى بعد كيلومترين من باب الخليل، وهي من أكبر المقابر الإسلامية في بيت المقدس، وتقدر مساحتها بمائتي دونم، بينما قدرها المهندسون بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٩٢٩ بـ (١٣٧.٤٥٠.٢٩م٢)؛ أي: بنحو (١٣٧) دونمًا ونصف، علمًا أنه استثنى منها بناية الأوقاف التي كانت مبنيةً على جزء من أرض وقفها، ومقبرة الجبالية التي كانت على القندرية، والتي يفصلها عن المقبرة الشارع، وعندما سجلت المقبرة في سجلات دائرة الأراضي – الطابو- بتاريخ ٢٢/ ٣/ ١٩٣٨ سجلت مساحتها (١٣٤.٥٦٠) من الدونمات، واستصدر بها وثيقة تسجيل أراضي كوشان طابو ضمن أراضي الوقف الإسلامي.

وقد تكلم الكثيرون أن مقبرة "مأمن الله" مدفون بها رفات

الصحابة، أمثال: عبادة بن صامت، وقد ذكر المقبرة النابلسي في رحلته، فقال: إنها بظاهر القدس من جهة الغرب، أكبر مقابر البلد، وفيها خلق كثير من الأكابر والأعيان والشهداء والصالحين، وفيها عدد كبير من الصحابة والتابعين.

ورجّح بعضهم أن تاريخ الدفن الإسلامي فيها يعود إلى ما قبل الصليبيين، وعندما احتل الصليبيون القدس وارتكبوا فيها مجزرةً بشعةً؛ حيث قُدِّر عدد الشهداء في هذه المجزرة من الرجال والنساء والأطفال بـ(٧٠.٠٠٠) شهيدًا، أمر الصليبيون مَنْ بقى من المسلمين بدفن الشهداء في مقبرة "مأمن الله" وقد وجدوا بها مقابرَ وأنفاقًا، فوضعوا جماجم الشهداء فيها، وقيل: إن نفقًا لا يزال تحت الأرض في الوسط الغربي من المقبرة كله مليء بالجماجم، وأن قطره نحو خمسة أمتار وله امتداد أكثر من مائة متر.

وعندما حرر السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله القدس من يد الصليبيين أمر بدفن مَنْ استشهدوا في المعارك مع الصليبيين في نفس المقبرة، وتوالى الدفن فيها بعدئذٍ فضمت قبور مئات العلماء والفقهاء والأدباء والأعيان والحكام من المدينة، والمعروف في التاريخ أن كثيرين من العلماء كانوا يحملون من

القاهرة كي يدفنوا فيها، وعلى العموم فإن مقبرة "مأمن الله" تأوي رفات أكثر من سبعين ألفًا بين صحابي وشهيد وعالم وزاهد.

وتوجهت عين والد ياسين إلى الصفحات كي يتابع القراءة:

وصف المسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو المنطقة المحاطة بالسور المستطيل الواقعة في جنوب شرق مدينة القدس المسورة و التي تعرف بالبلدة القديمة، وتبلغ مساحة المسجد قرابة الـ (١٤٤) دونمًا؛ أي: (١٤٤) ألف متر مربع تقريبًا، ويشمل: قبة الصخرة، والمسجد الأقصى والمسمى بالجامع القبلي، وعدة معالم أخرى يصل عددها إلى(٢٠٠) معلم.

الباحث ياسين

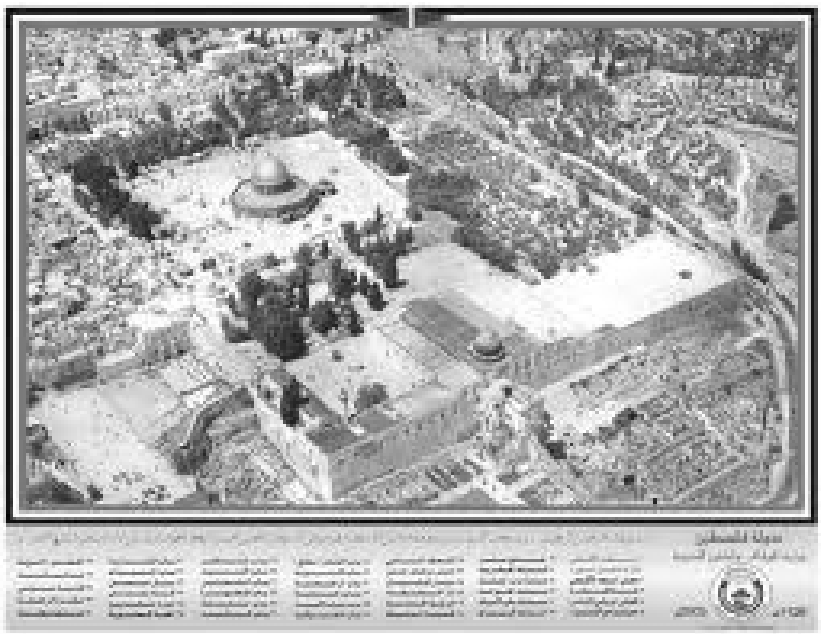

و يقع المسجد الأقصى فوق هضبة صغيرة تسمى هضبة موريا، وتعتبر الصخرة هي أعلى نقطة في المسجد وتقع في موقع القلب بالنسبة للمسجد الأقصى.

وتبلغ قياسات المسجد: من الجنوب (٢٨١م)، ومن الشمال (٣١٠م)، ومن الشرق (٤٦٢م)، ومن الغرب (٤٩١م)، وتشكِّل هذه المساحة سدس مساحة البلدة القديمة، وهذه الحدود لم تتغير منذ وُضع المسجد أول مرة كمكان للصلاة بخلاف المسجد الحرام والمسجد النبوي اللذان تم توسيعهما عدة مرات.

لمدينة القدس سبعة أبواب ما زالت مستعملة وأربع أبواب مُغلقة، وقد ظنَّ البعض أن لمدينة القدس أبوابًا أكثر من هذا العدد التباسًا عليهم؛ لأن لكل باب من أبواب المدينة أكثر من اسم، وربما يصل إلى ثلاثة أسماء فيقومون بعَدْ أسماء الأبواب، والحقيقة أن الأبواب الآن هي سبعة فقط كما سيلي تفصيله؛ ثلاثة في الشمال الجغرافي، وواحد في الغرب، وواحد في الشرق، واثنان في الجنوب، وهي:

أولاً: الأبواب المفتوحة:

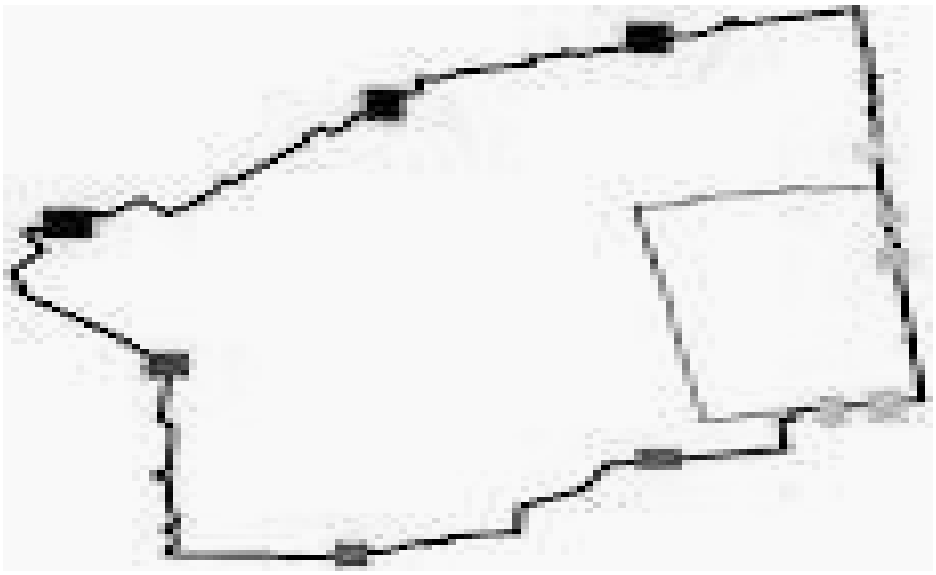

الأول: باب العمود:

يقع في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس تقريبًا، ويعود تاريخه إلى عهد السلطان (سليمان القانوني) العثماني، وتعلو هذا الباب قوس مستديرة قائمة بين برجين ويؤدي بممر متعرج إلى داخل المدينة، أُقيم فوق أنقاض باب يرجع إلى العهد الصليبي، ووُجدت أثناء حفريات سنة (١٩٣٦) وسنة (١٩٦٦)م بقايا بابين يعود أحدهما إلى زمن الإمبراطور "هادر يانوس" الذي أسس مدينة "إيلياء كامبيتولينا " ما بين سنوات (١٣٣-١٣٧ م) على أنقاض المدينة التي دمرها الإمبراطور "طيطوس".

ويظهر العمود في خريطة الفسيفساء التي عُثر عليها في الكنيسة البيزنطية في" مأدبا "، وقد بقى هذا العمود حتى الفتح الإسلامي ولذلك سمى العرب الباب "باب العمود "، وكان يُدعى من قبل باب دمشق؛ لأنه مخرج القوافل إليها.

الثاني: باب الساهرة:

وفي الخرائط العبرية يسمى " باب الزهور " يقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس على بعد نصف كيلو متر شرقي باب العمود، وباب الساهرة بسيط البناء؛ حيث بُني ضمن برج مربع،

ويرجع إلى عهد السلطان سليمان العثماني وكذلك كان يعرف عند الغربيين باسم باب "هيرودوتس".

الثالث: باب الأسباط:

وسُمِّي أيضًا بباب "القديس أسطفان" لدى الغربيين، ويقع في الحائط الشرقي ويشبه في الشكل باب الساهرة، ويعود تاريخه أيضًا إلى عهد السلطان سليمان العثماني.

الرابع: باب المغاربة:

يقع في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو عبارة عن قوس قائمة ضمن برج مربع، ويعتبر أصغر أبواب القدس وسُمِّي بهذا الإسم؛ لأنه في عهد السلطان صلاح الدين كان قد عهد لكل طائفة من جيشه الذي كان يشمل كل طوائف المسلمين من كل البلدان عهد حماية هذا الجانب من المدينة إلى المغاربة، وكلمة المغاربة تطلق على كل مكان بعد ليبيا، وقد أشاد صلاح الدين بهؤلاء المغاربة وإخلاصهم واستماتتهم في الدفاع عن المسجد الأقصى فسُمِّي المكان باسمهم تكريمًا لهم.

الباب الخامس: باب النبي داود:

عُرِف لدى الأجانب باسم باب صهيون، فهو باب كبير

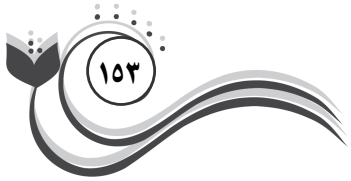

منفرج يؤدي إلى ساحة داخل السور، وقد أُنشئ في عهد السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة، وكلمة صهيون تعني باللغة القديمة المُشمس أو المجفف، وهي الأصل في التسمية؛ أي أن الصهاينة ينسبون أنفسهم إليها، وليست هي المنسوبة إليهم.

الباب السادس: باب الخليل:

يقع باب الخليل في الحائط الغربي، وسُمِّي لدى الأجانب "بباب يافا ".

الباب السابع: الباب الجديد :

فُتِح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيلو متر تقريبًا غربي باب العمود، وهو حديث العهد يعود إلى أيام زيارة الإمبراطور الألماني(غليوم الثاني) لمدينة القدس عام (١٨٩٨)م وقد فتحه السلطان عبد الحميد لذلك الغرض خصيصًا.

ثانيًا: الأبواب المغلقة:

باب الرحمة:

وسُمِّي هذا الباب لدى الأجانب بالباب " الذهبي "؛ لبهائه ورونقه، ويقع على بعد (٢٠٠)م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور، ويعود هذا الباب إلى العصر الأُموي.

وهو باب مزدوج يعلوه قوسان ويؤدي إلى باحة مسقوفة بعقود ترتكز على أقواس قائمة فوق أعمدة كورنثية ضخمة، وقد أغلق العثمانيون هذا الباب؛ بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك، مألها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب، وهو من أجمل أبواب المدينة ويؤدي مباشرةً إلى داخل الحرم.

والأبواب الثلاثة المغلقة الأخرى تقع في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية، وتؤدي جميعها إلى داخل الحرم مباشرةً وأولها ابتداءً من زاوية السور الباب الواحد ويعلوه قوس، والباب المثلث وهو مؤلف من ثلاثة أبواب يعلو كلًّا منها قوس، والباب المزدوج وهو من بابين يعلو كلًّا منهما سور، أُنشئت هذه الأبواب الثلاثة في العهد الأموي عندما بنى الخليفة "عبد الملك بن مروان" قبة الصخرة.

وللمسجد الأقصى أربعة مآذن هي مئذنة باب المغاربة الواقعة الجنوب الغربي، مئذنة باب السلسلة الواقعة في الجهة الغربية قرب باب السلسلة، مئذنة باب الغوانمة الواقعة في الشمال الغربي، ومئذنة باب الأسباط الواقعة في الجهة الشمالية.

سبب التسمية:

المسجد الأقصى هو الإسم الذي ذكره كتاب الله ﷻ لهذا المسجد في سورة الإسراء؛ حيث قال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ومعنى الإسم الأقصى؛ أي: الأبعد، والمقصود المسجد الأبعد مقارنةً بين مساجد الإسلام الثلاثة؛ أي: أنه بعيد عن مكة والمدينة على الأرجح.

وقد كان المسجد الأقصى يُعرَف ببيت المقدس قبل نزول التسمية القرآنية له، وقد ورد ذلك في أحاديث النبي ﷺ حيث قيل في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في حديث الإسراء.

أهم معالم المسجد الأقصى

يتكون المسجد الأقصى من عدة أبنية ويحتوي على عدة معالم يصل عددها إلى (٢٠٠) معلم، منها: مساجد، وقباب، وأروقة، ومحاريب، ومنابر، ومآذن، وآبار، وغيرها من المعالم.

أهم هذه المعالم:

قبة الصخرة:

قبة الصخرة هي المبنى المُثمن ذو القبة الذهبية، وموقعها بالنسبة للمسجد الأقصى ككل كموقع القلب من جسد الإنسان؛ أي: أنها تقع في وسطه إلى إليسار قليلًا، وهذه القبة تعتبر هي قبة المسجد ككل، وهي من أقدم وأعظم المعالم الإسلامية

المتميزة، سُمِّيت بهذا الإسم نسبةً إلى الصخرة التي تقع داخل المبنى والتي عرج منها النبي إلى السماء على أرجح الأقوال؛ لأن الصخرة هي أعلى بقعة في المسجد الأقصى، وقبة الصخرة هي حاليًا مُصلَى النساء في المسجد الأقصى، والصخرة غير معلقة كما يعتقد عامة الناس، لكنه يوجد أسفلها مغارة صغيرة. تقوم في ساحة الحرم الشريف ما يزيد عن ١١ قبة (فضلًا عن قبة الصخرة المشرَّفة)، والتي تم تعميرها في الفترات الإسلامية: الأيوبية والمملوكية والعثمانية؛ حيث بُنيت معظمها لتكون مقرًّا للتدريس أو دارًا للعبادة والاعتكاف.

وبين طيات الأوراق وجد الوالد بعض الأوراق الملونة مكتوبةً ومطوية بطريقة ملفتة، ففتحها وقرأ المكتوب بها فإذا هي:" صفات صلاح الدين والتي يجب أن يتحلى بها ياسين ".

صفات صلاح الدين

كان رحمه الله حسن العقيدة، كثير الذكر، شديد المواظبة على صلاة الجماعة، حريصًا على السنن و النوافل، يقوم الليل و يحب سماع القرآن، و يختار إمام الناس فى الصلاة بنفسه، يبحث عن

صاحب الصوت الجميل و الخلال الحسنة، كان رقيق القلب خاشع الدمعة ممتلئًا بصفات الرحمة و الرقة والتي ظهرت واضحةً جدًّا فى معاركه، إذا سمع القرآن دمعت عيناه، شديد الرغبة فى سماع الحديث، كثير التعظيم لشعائر الله، حسن الظن بالله كثير الاعتماد عليه..

حسن العشرة، عادلًا رؤوفًا بالناس رحيمًا ناصرًا للمظلوم و الضعيف، وكان كريمًا فى منتهى الشهامة، لطيف الأخلاق طاهر المجلس طيب الكلام، لا يسمح لأحد أن يذكر أحدًا بين يديه إلا بخير، يرفض الغيبة و النميمة.. طاهر السمع.. طاهر اللسان.. طاهر القلب...

و كان فى نفس الوقت شجاعًا شديد البأس، مواظبًا على الجهاد، عالي الهمة، قال يومًا و هو قرب عكا: إنه يجول في نفسي أنه بعدما يفتح الله لنا بقية السواحل أن أُطهِّر البلاد من الصليبيين، ثم أُولِّي الولاة وأركب البحر إلى جزائر النصارى في أوروبا فأفتحها، ثم أتبعهم في أوروبا فلا أُبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت.

فكان صاحب هذه الهمة العظيمة والهدف السامي الكبير،

ولهذا الهدف هجر أهله وسكنه ووطنه، وعاش حياة جهاد، وكان يعيش معظم حياته فى الخيام، وقد عُرف بالعطف على كل ضعيف، لا سيما الأطفال والنساء والشيوخ.

وكان عندما يفتح مدينة يقف على مدخلها، ويتفقد المهزومين المنسحبين من أعدائه، فإذا مرَّ عليه فقير أو شيخ ساعده أو امرأة أو طفل عطف عليه و سامحه و ساعده...

التقويم

- ارسم خريطة دولة فلسطين تحدد فيها حدودها مع الدول المجاورة؟
- ماذا تعرف عن أبواب الأقصى المغلقة؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟
- باب العمود، لماذا سمي بهذا الاسم؟

شاركنا بإجاباتك على صفحة ياسين

وكمل مغامراته مع الفاتحين على صفحة

أعمال الكاتبة عزة مختار

ياسين مُحرَّر الأقصى

في ليلة من الليالي استيقظ الوالد على صرخات ياسين قبل آذان الفجر بقليل وهو مرفوع الصوت: " انطلق انطلق اضرب، لا تدعهم يفلتون "، وكان ياسين وهو على هذه الحالة يحرك ذراعيه وقدميه بشدة وكأنه في حالة صراع شديدة مع أحدهم، فأسرع الوالد بإحضار كوب ماء؛ ليوقظ ولده مما هو فيه، بينما كان ياسين في عالم آخر تمامًا، طمأن الوالد ياسين وهدَّأ من روعه وطلب منه أن يستريح قليلًا، لكن ياسين رفض أن يستريح وقال لوالده:

لن تصدق يا أبي، ما كنت فيه، لقد كنت هناك مع القائد

صلاح الدين حيث أحرر مقدسات المسلمين، أتدري يا أبي أن المسجد الأقصي قد ظل أسيرًا ثمانية وثمانون عامًا تحت ظل الاحتلال الصليبي؟ ولم نعد نطيق صبرًا، والقائد صلاح الدين قد قرر أن يوحد صفوف المسلمين ببعض المفاوضات مع المسلمين، وأيضًا ببعض العمليات العسكرية وأنا في صفوف الجيش يا أبي!

تعجَّب الوالد من كلام ياسين وعرف أنه إنما يروي له إما حلمًا أو أن ابنه يهذي، فحاول أن يضم ولده إليه لكن ياسين استوقفه وقال:

دعني يا أبي، دعني أحكي لك ما حدث.

اغرورقت عيون الأب بالدموع من فرط حماس ياسين وهو يتكلم، وفرط عاطفته عن المقدسات الإسلامية، وتاريخ جهادنا الرائع، وربما من فرط الشوق لعودة تلك المقدسات اليوم وقد دنسها اليهود الصهاينة، قتلوا أهلها وهجروهم واغتصبوا الأرض بل ويحاولون هدم المسجد الأقصى بتلك الحفريات التي يقومون بها يوميًّا تحت المسجد الأقصى، والمسلمون غافلون عنه منشغلون بصغائر الأمور.

ضمَّ الوالد ابنه في حنانٍ وقال:

احكِ يا ياسين، احكِ يا ولدي ماذا حدث وأنا سأستمع إليك، اعتدل ياسين في جلسته ولمعت عيناه وقال:

كان المسلمون يا أبي متفرقين، وفي حاجة لتوحيد الصف والكلمة، فقام القائد بذلك الأمر وقرر أن يهاجم الصليبيين مستعيدًا المسجد الأقصى وتطهير البلاد كلها منهم.

وفي العام (١١٨٧) أعلن القائد صلاح الدين فتح باب التطوع في مصر لزيادة عدد جيش المسلمين لمحاربة الصليبيين، وأرسل المراسلات إلى الموصل والجزيرة والشام يطلب منهم الدعم فأرسلوا المدد، واجتمعت جيوش المسلمين في نقطة واحدة.

عبرت الجيوش نهر الأردن جنوبي طبريا، وسارت في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبيت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبريا، وحاولت الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال، وفي الثاني من يوليو استولت جيوش صلاح الدين المسلمة على طبرية قاطعًا على عدوه طريقه إلى الماء.

كانت هناك مهمة شاقة في المعركة وهي أن تقوم فرقة من المجاهدين بحرق كافة الأعشاب والشجيرات في ساحة المعركة؛

حتى يتيسر السير فيها، ويتيسر كذلك التقدم للاستيلاء على آبار الماء؛ لتعطيش جيش الأعداء والتحكم فيهم، فطلب القائد بعض المتطوعين ليقوموا بتلك العملية، ولم أتردد أن أكون في طليعة الجيش وقمت مع مجموعة من إخواني المجاهدين زاحفين إلى الخط الأمامي؛ كي نقوم بهذا من جهة العدو أولًا، ثم نعود بظهورنا ونحن نقوم بنفس العمل حتى ننظف المكان كله، ومع أنها كانت مهمة ليست يسيرةً إلا أنها تمت على خير وجه مستعينين بالله، ولم يتعرض لنا أحد من الصليبيين، وتقدم جيش الفاتحين ليقوموا بالاستيلاء على كافة آبار المياه الموجودة، وذلك - كما قلت لك يا أبي- لمنع الماء عنهم فيضطروا إلى النزول للقتال من المكان الذي يعسكرون فيه، بعد قطع كافة الطرق إلى الماء عنهم وإلا سيموتون عطشًا.

وفعلًا نزل الجيش الصليبي إلى ساحة المعركة وهو السهل الواقع بين لوبيا وحطين، قام القائد صلاح الدين بشن هجومًا عنيفًا عليهم مما اضطرهم للانسحاب السريع إلى تلال حطين.

حاصرت قوات المسلمين التلال، وأقبل الليل وتوقف القتال، في اليوم التالي الرابع من يوليو (١١٨٧) وفي قيظ شديد

ونقص في مياه الشرب قامت معركة حطين، ولف الفرسان الصليبيون الذين انتظموا على مرتفع حطين سُحُب الدخان المتصاعد إلى أعلى، فالتحم الجيشان على بعد ميلين من حطين، فارتبك الصليبيون وأهلكتهم سهام جيوش المسلمين، ثم شنَّ المسلمون هجومًا بالسيوف والرماح، فقُتِل وجُرِح وأُسِر الكثير، فاستسلم الألوف منهم.

وقام الصليبيون بمناورة، فتقدَّم قائد الفرسان "ريمون الثالث" أمير طرابلس بأمر من "غي دي لوزينيان" ملك القدس، وزحزح بهجومه هذا قوةً يقودها "تقي الدين عمر"، فظنَّ الصليبيون أنهم فتحوا ثغرةً في صفوف صلاح الدين فاندفعوا فيها، وحاصر جيشنا جيش القائد صلاح الدين جزءًا من الجيش الصليبي فشطره إلى شطرين، ودامت المعركة نحو (٧) ساعات على التوالي سقط فيها الآلاف بين جرحى وقتلى، ووقع الملك "غي دي لوزينيان" ملك القدس آنذاك في أسر القائد صلاح الدين، بالإضافة إلى العديد من القادة والبارونات، ولم ينجُ إلا بضع مئات فروا إلى صور واحتموا وراء أسوارها.

كان ياسين يحكي لوالده أحداث المعركة ويصفها وهو

يلهث وتدور عيناه، وكأنه يصف مشهدًا يراه أمامه رأي العين ولم يكن يعطي لوالده فرصةً كي يسأله سؤالًا، وكأن الأحداث ستضيع منه أو كأن أحدًا يطارده.

- استطرد ياسين في حكايته قائلًا:

كانت هزيمة الصليبيين في معركة حطين هزيمةً ساحقةً؛ حيث فقدوا فيها زهرة فرسانهم، وقُتل فيها أعداد كبيرة من جنودهم وأُسر فيها أعداد كبيرة أيضًا، وأصبح بيت المقدس في متناول أيدينا، وكان من بين الأسرى ملك بيت المقدس ومعه مائة وخمسون من الفرسان ومعهم "أرناط" صاحب حصن الكرك وغيره من كبار قادة الصليبيين، فأحسن القائد صلاح الدين استقبالهم، وأمر لهم بالماء المثلج، ولم يعطِ "أرناط"، فلما شرب ملك بيت المقدس أعطى ما تبقى إلى "أرناط"، فغضب صلاح الدين وقال: "إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال أماني"، ثم كلَّمه وذكَّره بجرائمه وقرَّعه بذنوبه، ثم قام إليه فضرب عنقه، وقال: "كنت نذرت مرتين أن أقتله إن ظفرت به: إحداهما لمَّا أراد المسير إلى مكة والمدينة، والأخرى لمَّا نهب القافلة واستولى عليها غدرًا". فكان أن برَّ صلاح الدين بيمينه وضرب عنق "أرناط".

وبعد المعركة، سرعان ما احتلت قواتنا - قوات صلاح الدين وأخوه الملك العادل - المدن الساحلية كلها تقريبًا جنوبي طرابلس: عكا، بيروت، صيدا، يافا، قيسارية، عسقلان، وقطع اتصالات مملكة القدس اللاتينية مع أوروبا، كذلك استولى على أهم قلاع الصليبيين جنوبي طبرية، ما عدا الكرك وكراك دي مونريال، وفي النصف الثاني من سبتمبر (١١٨٧) حاصرت قوات صلاح الدين القدس، ولم يكن بمقدور حاميتها الصغيرة أن تحميها من ضغط (٦٠) ألف رجل، فاستسلمت بعد ستة أيام، وفي الثاني من أكتوبر(١١٨٧) م فُتحت الأبواب وخفقت راية السلطان صلاح الدين الصفراء فوق القدس، في نوفمبر (١١٨٨) م استسلمت حامية الكرك، وفي أبريل / مايو (١١٨٩) استسلمت حامية كراك دي مونريال، وكان حصن بلفور آخر حصن يسقط، ومنذ ذلك الحين صار ما كان يعرف بمملكة القدس اللاتينية بمعظمها في يد صلاح الدين، ولم يبق للصليبيين سوى مدينتي صور وطرابلس، وبضعة استحكامات وحصن كراك دي شيفاليه(قلعة الحصن) في شرق طرطوس، وقد أدى سقوط مملكة القدس إلى دعوة بابا روما إلى بدء التجهيز لحملة صليبية

ثالثة والتي بدأت عام (١١٨٩)م عامل صلاح الدين القدس وسكانها معاملة أرق وأخف بكثير مما عاملهم الغزاة الصليبيون، قبل ذلك بمائة عام تقريبًا حيث قتل الصليبيون آنذاك كل أهالي القدس من رجال وكهول ونساء وأطفال و (٧٠٠٠٠) تم قتلهم في ساحة المسجد الأقصى، فلم تقع من صلاح الدين قساوةً لا معنى لها ولا تدميرًا، ولكنه سمح بمغادرة القدس في غضون (٤٠) يوم بعد دفع فدية مقدارها (١٠) دنانير ذهبية عن كل رجل، (٥) دنانير ذهبية عن كل امرأة، ودينار واحد عن كل طفل، وأظهر صلاح الدين تسامحًا كبيرًا مع فقراء الصليبيين الذين عجزوا عن دفع الجزية.

وانتهى ياسين من حديثه وسكت الأب عن التعليق وسكبت عيون الاثنان دموعًا غزيرةً بينما كل منهم يحتضن الآخر، ويرسل ياسين نظرات إلى والده متسائلًا" **أين المسجد الأقصى اليوم يا أبي؟**".

أحبائي القدس ليست ملكًا لأحد ولا يملك كائنًا من كان حق التنازل عنها أو التفاوض عليها أو مجرد الحديث في شأنها، لقد فتحها عمر وهي في أيدي الرومان، وحررها صلاح الدين من الصليبيين، وها هي اليوم بين أيدي الصهاينة المغتصبين وليس أمامنا سوى طريق واحد لاستردادها، وليس أمامنا خيارات

أخرى وليس هناك سلام مع مصاصي الدماء هؤلاء ولا تفاوض إلا بعد تسليم الأرض والمقدسات، ولن تُسلَّم إلا ببذل الجهد الذي بذله مَنْ قبلنا، وسلوك السبيل الذي سلكه الفاتحين العظام من قبل، فالطريق أمامكم، تعلموا واجتهدوا وتقدموا وأعدوا أنفسكم ليوم الفتح الذي أزف أوانه، فيعزكم الإسلام كما أعز أول هذه الأمة ولن يعز آخرها إلا بما عزَّ به أولها.

لن يكون هناك أسئلة في نهاية تلك القصة وذلك لسبب واحد وهي أنها لم تبدأ بعد، إنما سوف تبدأ حين يبدأ كل منكم في إعداد نفسه ويتعهد أمام الله وأمام نفسه أنه سوف يكون من جيش الفاتحين.

القدس فتحها عمر وحررها صلاح الدين، فهبوا أيها الأبطال لتكونوا لها بعد حين.

عزة مختار

الفهرس

الإهداء ٣
ياسين الفتى المشاكس ٤
إلى الإسكندرية.... ..... ٨
وتحدثت جدران القلعة ١٨
مثلك يا ياسين يحب العلم ٢٣
الخلافة وتحمُّل المسئولية..... ٣٨
لا وسيط بين الحاكم وشعبه ٥٢
المظالم والفقراء ٦٢
وحان الرحيل ٦٩
دروس من ياسين..... ٧٢
صاحب البشارة ٧٦
الإعداد للفتح ٨٦
المدينة المحصنة وبداية المعركة ٩١
مرحلة أخرى من العمل ٩٨
القرن الذهبي..... ١٠١
العبقرية الحربية المنقطعة النظير ١٠٤

المفاجأة ١١٠
مفاوضات وفتح..... ١١٣
وماذا بعد الفتح..... ١٢٢
الناصر صلاح الدين محرر القدس..... ١٣٢
القدس... الوطن المفقود ١٣٤
أهم معالم المسجد الأقصى ١٥٧
ياسين مُحرَّر الأقصى..... ١٦١